نماذج من الفكر
الشرقي القديم

إعداد

د/آيات على أيوب

مدرس الفلسفة اليونانية

كلية الآداب بقنا

جامعة جنوب الوادي

بيانات أساسية

الكلية: **الآداب**

الفرقة: **الأولى**

التخصص: **الفلسفة**

عدد الصفحات:**١٥٢**

القسم التابع له: **الفسفة**

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٤
الباب الأول" مصر القديمة الفلسفة الدينية والخلقية"	٥-٩٦
الفصل الأول " كشف مصر القديمة"	٨-٢٠
الفصل الثاني " تعاليم بتاح حتب"	٢٢-٣٧
الفصل الثالث " الفكر الديني بمصر القديمة"	٣٨-٥٧
الفصل الرابع"إخناتون وعقيدة التوحيد"	٥٨-٩٦
الباب الثاني" الزرادشتية"	٩٧-١٣٥
الفصل الخامس" حياة زرادشت"	٩٨-١١٠
الفصل السادس" الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية"	١١١-١٢٦
الفصل السابع" الفلسفة الخلقية في الديانة الزرادشتية"	١٢٧-١٣٥
فهرس الكتاب	١٣٦- ١٥٢

مقدمة:

لما كانت الحضارة الإنسانية نظام اجتماعي يساعد الإنسان على الزيادة على انتاجه الثقافي، تمثل فيه كل حضارة من الحضارات حلقة من حلقات التطور الفكري والحضاري التى ينتجها الفكر البشري.

لذا فقد حاولنا في هذا الكتاب أن نزيل الحواجز ونرفع الستار عن بعض معالم حضارات الفكر الشرقي حتى نتيح للطالب التعرف على أصل تلك الحضارات، نشأتها وأهم إنجازاتها، وكذلك التعرف تأثيرها في الحضارات اللاحقة لها.

د.آيات على أيوب

الباب الأول

الحضارة المصرية القديمة

- **أولا**: **كشف مصر القديمة**
- **ثانياً**: **تعاليم بتاح حتب وتطور الحياة الخلقية**
- **ثالثاً**: **الفكر الديني بمصر القديمة**
- **رابعاً**: **إخناتون وعقيدة التوحيد**

الفصل الأول

كشف مصر

كشف مصر القديمة

❖ شامبليون وكشف مصر القديمة:

لاريب في أن الآثار التى تركها لنا المصريون القدماء تعتبر المصدر الأول لتاريخ مصر القديمة، فهي تتحدث عن الكثير من أخبار القوم، وتروي معلومات هامة عن عقائدهم وفنونهم...الخ، وتشمل كل ما خلفه لنا أجدادنا القدماء من المعابد والمقابر والأهرامات والتماثيل ولوحات القبور والتوابيت وقراطيس البردي...وغيرها.[١]ولعل التاريخ لم يشهد من قرونه قرونًا اهتم أهله بالتاريخ كالقرن الذي تلا رحلة شمبوليون الشاب في صحبة نابليون إلى مصر عام ١٧٩٨م، تلك الرحلة التى عاد منها نابليون خالي الوفاض؛ في حين عاد شمبوليون وفي قبضته مصر بأسراها، ماضيها وحاضرها؛ ومنذ ذلك الحين، أخذ كل جيل يستكشف مدنيات جديدة وثقافات جديدة، ويرجع خطوة وراء خطوة بحدود معرفة الإنسان بتطوره؛ فلن تجد جوانب كثيرة من حياة هذا النوع البشري السافك للدماء، أجمل من هذا الشغف الشريف بالاستطلاع، هذه الرغبة القلقة المغامرة في سبيل العلم.[٢]

ولعل اهم نتيجة للحمله الفرنسية، هو ذلك الاكتشاف الذي توصل إليه ضابط فرنسي، تصادف أن كان يعمل في رشيد في دلتا النيل، وهو اكتشاف حجر

---

(١) د.سمير أديب: تاريخ وحضارة مصر القديمة، ١٩٩٧، صـ٢٨

(٢) ول ديورانت: نشأة الحضارة ، تقديم / محي الدين صابر، ترجمة/ زكي نجيب محمود، م١،ج١، بيروت، د.ت، ص ص١٥٥،١٥٤.

بازلتي يحمل نقشًا دون بثلاث كتابات مختلفة، ولما كانت إحدى هذه الكتابات، هي الكتابة الاغريقية، معروفة، ترجمه على الفور ما ثبت أنه قانون أصدره بطليموس الخامس ابيفانوس، أما بالنسبه للكتابتين الأخريين، أعني الهيروغليفية، والكتابة الأخرى باللغة الأكثر شعبية والمعروفة بالديموطيقية، فإن عملية كتابة لغة بحروف لغة أخرى، وعملية الترجمة قد اثارتا مشاكل متنوعة. [٣]

ويمكن الاستدلال على شيء من عظمة ما حققه شامبليون من إنجاز في عدة أمور:-

أولاً: أن النص المكتوب كان مستمر في السرد دون مراعاة لأي فواصل بين الكلمات.

ثانياً: لم يعرف شامبليون ولا أي عالم آخر معاصر له، في البداية، هل كانت العلامات الهيروغليفية تمثل أفكاراً، أو أصواتا أو مقاطع، أو باختصار هل كانت كتابة رمزية أو صوتية أو محض كتابة مقطعية.

كما أن الخبراء لم يدركوا، اللهم إلا بعد وقت طويل، أن الكتابة الهيروغليفية قائمة على مزج حروف الكتابة الرمزية والصوتية، وأن بعض الحروف الأخيرة كان عملوها مساعدا فحسب على الفهم أكثر من أن تكون عناصر في النطق، وهي حقيقة استنبطها شامبليون اصلاً من زيادة عدد الرموز الهيروغليفية على الإغريقية، وليس هناك ما يدعو لذكر كافة المشاكل التي

(٣) أ.ف.توملين: فلاسفة الشرق، ترجمة /عبد الحليم سليم، مراجعة/ على أدهم، دار المعارف، ط٢، القاهرة، د.ت، صـ٢٩.

واجهت شامبليون، ويكفي أن نذكر فحسب بأنه قضى أربعة عشر عاماً ليفسر طلاسم الكتابة الهيروغليفية، وأنه قضى عشر سنوات أخرى ليكتسب الماما باللغة كان لازما لتأليف قواعد اللغة ولتأليف قاموس، بالإضافة إلى أنه كان يقتل نفسه من شدة الارهاق فى العمل، فلولا جهود ذلك العالم المثقف لما امكننا الوصول إلى تلك الثروة الكبيرة، بالإضافة إلى ذلك فقد كان اكتشافه بمثابة حافز، شحذ لامد طويل، همم العلماء في كل بلد أوروبي، وخاصة في المانيا وانجلترا وفرنسا، لمحاولة معرفة اللغة الهيروغليفية.[٤]

❖ **الكتابة**:

لقد كانت اكتشافات الإنسان المتتابعة – في فترات متباعدة جدًا للفنون المتصلة بالكلام والكتابة– المرحلتين الرئيسيتين اللتين مر بهما في سيره نحو الحضارة، وقد يسر له استخدام الأصوات الواضحة تبادل الأفكار والرغبات والاستفسارات مع بني جنسه، وكانت الكتابة التى قامت على الأساس نفسه بديلًا مرئيًا للعلامات المسموعة، وهكذا وسعت من نطاق اتصالاته ناحيت المكان والزمان. [٥]

وصلت مصر قبيل عصر الأسرات إلى اختراع مهم أحدث تطورًا كبيرًا في حضارتها، ذلك الاختراع هو اختراع الكتابة واستخدامها على بعض

---

(٤) نفس المرجع: صـ٢٩.

(٥) سير ألن جاردنر: مصر الفراعنة، ترجمة د.نجيب ميخائيل إبراهيم ، مراجعة د. عبد المنعم أبو بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، صـ٣٣

الآثار، حقيقة أن بلاد سومر كانت هي الأخرى قد وصلت إلى ذلك الاختراع آنذاك، ولكن مصر لم تتأثر ببلاد الرافدين في هذا الأمر، ووجدت طريقتها الخاصة دون مؤثر خارجي، بل أن النهضة الشاملة لجميع مرافق الحياة في تلك الفترة جعلتها تصل في وقت سريع إلى استكمال هذا الاختراع وذلك بما كان كامنًا فيها من قوة وفتوة. [٦]

فلقد كان قدماء المصريين يستخدمون البردي كمادة أساسية للكتابة، وهو نبات كان ينمو بكثرة في تلك الأيام في مستنقعات الدلتا ولكنه لا يوجد اليوم في مصر بل في السودان،وكانت مادة الكتابة هذه تجهز على الصورة التالية: كانت تنزع عن النبات قشرته الخارجية ثم يقطع إلى شرائح طويلة توضع بعد ذلك الواحدة إلى جانب الأخرى على سطح مستو ثم توضع شرائح أخرى فوق هذه في شكل صليبي ثم تلصق الطبقتان معًا وتضغطان حتى تجف، ويمكن لصق القطعة المصنوعة بهذا الشكل عن طريق الصمغ، وهذا حتى يمكن الحصول على ملف بالطول المطلوب، وبهذا يمكن نسخ كتاب باكمله على مثل هذا الملف وعند القراءة يفتح القارئ جانبًا منه ثم يطويه ويفتح الذي يليه بعد الذي يليه بعد الانتهاء منه وهكذ.[٧]

لقد كشفت العديد من البرديات القديمة عن المكانة الكبيرة التى كان يتمتع بها الكاتب في مصر، ومن هذه البرديات بردية الحكيم سنب حتب" الذي أوصى أبنه قائلًا:

([٦]) د.أحمد فخري: مصر الفرعونية " موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م، صـ٤٤

([٧]) ألن شورتر: الحياة اليومية في مصر القديمة، ترجمة د.نجيب ميخائيل إبراهيم، مراجعة / محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م، صـ٧٨

"أعد نفسك لتكون كاتبًا وحاملًا قلم المعرفة . . .إنها أشرف مهنة وأجدر وظيفة تليق بك وترفع شأنك وتقربك من الآلهة . . إن ما يخطه قلمك سيعيش أبد الدهر ويكون أكثر خلودًا مما ينقشه الآخرون على الحجر الصلب لأنه سيعيش في قلوب الناس ورؤسهم فلا تمتد إليه يد العبث أو التخريب . . تعلم كيف تحرك أصبعك القلم وكيف يحرك عقلك أصابعك فلا يخط قلمك إلا الحكمة والمعرفة وما ينفع الناس . . . أجعل ملف البردي وأدوات الكتابة أصدقاءك ستجد أنهم أوفى الأصدقاء وأخلص الندماء . . . ستزيدك الكتابة بما هو أجمل من ملابس الكتان وعطور اللوتس، إن ما يخطه قلمك هو أعظم ميراث لا تعبث به يد الطامعين، وأثمن من أرث الأرض في ناحية الشرق أو مقبرة ناحية الغرب، إن الكتابة مهنة مقدسة تقربك إلى الإله الذي منحك العقل والقلم وتقربك من فرعون والناس وتجعلك حبيبًا للجميع . ."

وليس أبلغ من تلك الكلمات السابقة من تقدير الكتابة وأغراضها النبيلة، فهي وعاء الحكمة وميراث الحكماء والمهنة المقدسة التى تقرب الإنسان من الإله وتجعله محبوبًا بين الناس. [٨]

وإذا كان ذلك يعد وصفًا للسعادة والشرف التى يجنيها الكاتب من مهنة الكتابة في نظر الناس الإله والملك، فإن ما تخلفه الكتابة في نفس الكاتب من سعادة ذاتية لا يقل عن ذلك؛ ولقد قال "راع حتب" واصفًا لذة الكتابة:

([٨]) د.مصطفي النشار: الخطاب السياسي في مصر القديمة، دار قباء، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ص٣٠،٢٩

" الكتابة تجعل الكاتب أسعد من امرأة وضعت طفلًا فالكتابة كميلاد الطفل الذي يعوض الأم ما تحملته من آلام في حمله وولادته[٩].

إن حياة الكاتب ومهنة الكتابة كانتا تمثلان أملًا وقدوة ينبغي أن تحتذى، وقد حاول كتاب مصر وحكماؤها إقناع ذويهم بذلك قدر الطاقة وبمقدار ما استطاعوا من بلاغة في الخطاب، ولا شك أن المصريين قد تفاعلوا مع هذه الآراء التى أطلقها الحكماء والكتاب، وقد دلنا على ذلك مدى الاحترام والتقديس الذي ملأ نفوس المصريين سواء كانوا من العامة أو من الخاصة، سواء كانوا حكامًا أو محكومين تجاه الحكماء وما خلفوه من آثار حكمتهم الخالدة.

هكذا ادرك المفكر المصري مدى ما تحققه الكتابة من استقلال وحرية ذاتية للكاتب حينما يشعر براحة العقل والسيادة على النفس وعدم الحاجة إلى الآخرين، وهذا ما عبرت عنه في الفكر المصري القديم بردية الكاتب " آمون راع" حينما قال: " كن كاتبًا يريح عقلك إجهاد جسمك، كن كاتبًا لتصبح سيد نفسك ولا تكن تحت امرة أسياد كثيرين، كن كاتبًا فتنعم عليك الآلهة بحاسة جديدة مقدسة تضاف إلى حواسك الخمس، حاسة تميزك عن الأخرين فترى ما لا يراه الأخرون وتسمع ما لا يسمعه الأخرون، سترى وتسمع بعقلك وقلبك عالم ما وراء الطبيعة، ستتمتع بشهوات عقلك فتسعد قلبك ، ومن كان قلبه سعيد أسعد الأخرين".

---

(٩) نفس المرجع: صـ٣١

لقد كشفت تلك البردية عن مدى السمو الذي تحققه الحكمة للحكيم الكاتب، فهو الذي يستطيع وحده إدراك ما لا يستطيع الآخرون إدراكه، وهو وحده الذي يصل إلى سعادة العقل والقلب معًا، ولعل ما يتميز به المفكر المصري عن غيره هي إدراكه أن السعادة الذاتية التي يشعر بها الكاتب تمتد ليشعر بها الأخرون معه، فالكتابة تواصل والخطاب أداة للنفع المتبادل سواء كان مكتوبًا أو شفويًا، أنها وعاء الحكمة الذي تتناقله الأجيال ويتوارثه الأبناء عن الأباء.(١٠)

لذا كان التعليم الذي يعطى في المدرسة يحتوي غالبًا على القراءة والكتابة وليس من عجب أن نعلم أن طريقة الكتابة الهيروغليفية لم يكن من المستطاع التمكن منها إلا بعد مران شاق لبضع سنوات وبعد أن يتعلمها التلميذ ينتقل إلى الكتابة الهيراطيقية كما ينتقل طفل اليوم من القراءة والكتابة للكلمات المطبوعة في الكتب إلى معرفة الخط العادي، وكان هدف الكاتب الشاب أن تكون له يد هيراطيقية متقنة ولكي يصل إلى هذه المرحلة كان عليه أن يقوم بنسخ عدة صفحات من نص ما، والواقع أنجانبًا كبيرًا من التمرين المدرسيكان يتضمن نسخ عدد من الكتب المناسبة ثم يصحح المعلمالأخطاء في أعلى الصفحة.(١١)

إن كل ما اكتشف من إرث الحكماء المصريين القدامى يتفق في مضمونه حول هذا الإدراك العميق لمواطن الجمال والفضيلة في التخصص والتأمل والكتابة؛ "فسبك حتب" يقول لمن يخاطبه "**ليتني أستطيع أن أجعلك تحب**

---

(١٠) نفس المرجع: ص ص٣١-٣٣

(١١) ألن شورتر: الحياة اليومية في مصر القديمة، صـ٨٠.

الكتابة أكثر من أمك، ليتني أستطيع أن أريك جمالها"، وها هو الحكيم آني يخاطب أبنه قائلًا:

" فلتكن أمنيتك أن تصبح كاتبًا، فالكتابة أعطى رزق تسعى إليه. . وأعظم هبة يهبها الإله لمن يسعى إليه، الكتابة أعظم قيمة من مسكن الحياة حيث تشرق الشمس وأبقى خلودًا من مقبرة حيث تغرب الشمس، أنه أجمل وأمتع من قصر في البستان أو لوحة دعاء في هيكل معبد الآلهة". (١٢)

والحق يقال أن سبك حتب كان مصيبًا من غير شك في قوله بأن حرفة الكتابة كانت أمتع الحرف، وذلك لأن وظائف الادارة الحكومية في كل مصالحها كانت مفتوحة أمام الشباب المتوقد الذهن الذي له دراية بالحسابات أو الأعمال الكتابية وكان لكل ادارة نوع من المدارس ملحق بها حيث يعلم كبار الموظفين الشبان بقصد تمهيد السبيل أمامهم للحصول عل هذه الوظائف فيما بعد.(١٣)

هكذا توصلت مصر إلى الكتابة في فترة قبيل عصر ما قبل الأسرات وأدى استخدامها إلى معرفتنا الآن لبعض الحوادث التى جرت قبل الأسرة الأولى.(١٤) فلقد استخدم المصريون البردي في تسجيل الأغراض الهامة فقط نظرًا لارتفاع ثمنه، أما في الأعمال اليومية فقد استخدموا شظايا الحجر

---

(١٢) د.مصطفي النشار: الخطاب السياسي في مصر القديمة، ص ص٣٢-٣٣

(١٣) ألن شورتر: المرجع السابق، صـ٧٤

(١٤) د.أحمد فخري: مصر الفرعونية " موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد"، صـ٤٤.

الجيري وهي التى كان يتمرن عليها التلاميذ في المدارس حيث كان لا يسمح باستعمال البردي سوى للمتقدمين من الطلاب،أما الواح الكتابة الالخشبية فكان يستعملها التلاميذ وغيرهم وكانت تغطى بطبقة رقيقة من الجص مصقولة حتى يستطاع ازالة الكتابة بعد الانتهاء من أمرها واستعمال اللوح مرة أخرى.[١٥]

❖ تمثيلية منف وفجر المبادئ الخلقية:

تعد مسرحية منف بحث في أصول العالم ما بين ديني وفلسفي، وهي من تأليف طائفة مفكرة من الكهنة في المعابد المصرية.[١٦] كما إنها أقدم مدونة معروفة لنا منذ الأزل، يمكننا أن نستخلص منها أهم تقليد شفوي يفسر لنا فلسفة لأبد وأنها كانت موجودة في مصر القديمة.[١٧] غير أن موضوعها لم يتناول ما كانت عليه حياة الشعب المصري بأسره في ذلك الحين، وسنرى كذلك كيف أن عامة الشعب أخذت بدورها فيما بعد تشعر بالوازع الخلقي الذي يُصرفها في حياتها، وعلى ذلك يكون الشعور الخلقي قد انحدر تدريجًا من طبقة أشراف رجال البلاط الملكي وطائفة كهنة المعابد إلى أشراف رجال الأقاليم أولًا، ثم عامة أفراد الشعب ثانيًا.[١٨]

---

(١٥) ألن شورتر: المرجع السايق، ص ص ٧٨-٧٩.

(١٦) جيمس هنري بريستيد: فجر الضمير، ترجمة د.سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٠م، صـ٣٨.

(١٧) أ.ف.توملين: فلاسفة الشرق، صـ٣٦.

(١٨) جيمس هنري بريستيد: المرجع السابق، ص ص٣٨-٣٩

لقد وصل إلينا صورة من المتن الحقيقي لوثيقة دونت في بداية عهد الاتحاد الثاني، وهذه الصورة منقوشة على حجر أسود محفوظ الآن بالمتحف البريطاني، وذلك الحجر كان قد استعمله بعض القرويين كقاعدة لحجر طاحون لطحن غلالهم، وقد استمروا في إدارة حجر الطاحون الأعلى عليه لبضع أعوام دون أن يقفهوا شيئًا مما كانوا يمحونه بذلك من النقوش.[١٩]وهذا ما يفسر عدم جود النص الكامل لتلك القطعة الأدبية الفريدة، والتى كان بقاؤها حتى في أجزاء مشوهة، هو نتيجة لحادثة سعيدة يرجع تاريخها إلى أمر الفرعون الأثيوبي "شبكا" –الذي حكم مصر في القرن الثامن ق.م – بأن يُنسخ النص القديم من ورقة بردي قديمة ويُنقش على حجر أسود ، إذ ربما كان هذا أفضل مكان لحفظ مثل هذا العمل الجليل للأجيال القادمة.[٢٠]

على أن ما بقي مقروءًا على ذلك الحجر الهام من الفقرات المشوهة، له أهمية لا تقدر بثمن، ولقد أمكننا أن نفهم شيئًا عن أصل ذلك الحجر من سطر فى أعلاه نقوش هيرغليفية غاية فى الوضوح، فنجد فيها اسم "شبكا" ذلك الفرعون الأثيوبي الذي حكم مصر – كما ذكرنا– خلال القرن الثامن قبل الميلاد، ويلي اسم ذلك الفرعون نقوش تقول بأن جلالته نقل هذه الكتابات من جديد في بيت والده " بتاح جنوبي جداره" وقد وجدها جلالته بمثابة عمل خلفه الأجداد قد أكله الدود حتى أصبح لا يمكن قراءته من البداية للنهاية، وإذا ذاك قام جلالته بكتابته من جديد حتى أصبح أكثر جمالًا مما كان عليه من قبل.[٢١]

---

(١٩) نفس المرجع: صـ٤٨

(٢٠) أ.ف.تومولين: المرجع السابق، صـ٣٦

(٢١) جيمس هنري بريستيد: المرجع السابق، ص ص٤٨–٤٩

هكذا أهتم ملك مصر الأثيوبي الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد بالمحافظة على الكتابة القديمة التى خلفها الأجداد، والتى دُونة على ورق البردي واستطاع الدود أن ينال منها، وقد نقل شبكا لحسن حظنا نسخته الجديدة على الحجر لتبقى محفوظة على الدوام، ومع ذلك لو بقي هذا الحجر يُطحن عليه بضع سنين أخرى لقضى على أقدم مسرحية في العالم، وعلى أول بحث فلسفي وصل إلينا من العالم القديم. (٢٢)

ويمكن تلخيص محتويات تلك المسرحية بأنها مجرد محاولة لتفسير كيفية بدأ العالم وأصل الموجودات، وأيًا كان ظننا في أسلوب تعبيرهم، فنحن لا نستطيع أن ننكر أنهم كانوا يتناولون مسألة معقولة وبالغة الأهمية– مسألة كرس لها المفكرون الأوائل أنفسهم، فالتفكير في خلق العالم كيف بدأ؟ ومن الذي أوجده؟ تلك المسألة التى حاول المصري القديم أن يجد لها إجابات – ربما يميل الدارس العصري إلى الإعتراض على معظمها– قد كرس لها المفكرون الأوائل من الفلاسفة الإغريق أنفسهم، فمعظم الكتب الدراسية التى تتناول تاريخ الفلسفة تبدأ بتأملات الفلاسفة الإغريق السابقين على سقراط الذين كان هدفهم اكتشاف العنصر الأصلى أو مجموعة العناصر، التى نشأ عنها عالم الطبيعة، فنادى طاليس بأن العالم نشأ كله عن الماء، ونادى انكسماندريس بأنه نشأء عن الأبيرون، وقال أنكسمانيس بالهواء. (٢٣)

لقد نظر المفكرون المصريون، الذين عاشوا حوالي ثلاثين قرنًا سابقة للإغريق، إلى المسألة نظرة مختلفة جدًا فنادوا– ويجب أن لا نصرف النظر

---

(٢٢) نفس المرجع: ص ص٤٨–٤٩

(٢٣) أ.ف.توملين: المرجع السابق، صـ٣٨

عن الجواب على اعتبار أنه غير معقول دون أن نوليه اهتمامًا كبيرًا- بأن الكون نشأ من الفكر؛ ليس فكرًا عامًا بقدر ما هو فكر من نوع معين، فكر مدرك، هادف أو متجسد. [٢٤]

وقبل التعليق على هذه الفكرة التى تبدو فكرة جديدة، يجدر بنا أن نلقي نظرة على النص كما أورده برستد في كتابه فجر الضمير:" أعلن "بتاح" كما نمى إلى علمنا بوصفه نائب عن كل الآلهة غيره، أعلن أسماء كل الأشياء، خلق بصر العينين وسمع الأذنين، وتنفس الأنف حتى يمكن أن تنتقل إلى القلب، وهو (القلب) المتسبب في أن كل نتيجة يجب أن تظهر، وهو اللسان الذي يعلن عن فكر القلب...كل كلمة مقدسة جاءت إلى الوجود من خلال ما فكر فيه القلب وأمر به اللسان، ومن ثم كان قيام المراكز(المناصب الرسمية) وتحديد وظائف(الحكومة) الأمر الذي أمد بكل ألوان القوت والغذاء".

تلخص لنا المقتطفات السابقة فكرة هى، مثل كثير من الأفكار المماثلة في الأدب المصري تعرضت لتكرار خطير، لما تقلد بتاح في جراءة مهام إله الشمس أعلن أنه خالق ومحرك الأشياء كلها، وكان عضواه الخالقان هما القلب واللسان، البؤرتان الخاصتان بالفطنة والتعبير، لذلك فإن كل شيء في العالم هو تجسيد للفطنة المدركة التى جاءت بها إلى الوجود، وكما نعلم لم يُخلق العالم كما لو كان بفعل السحر، ولم يُخلق قط طبقًا لخطة فطنة، لقد جاء إلى الوجود ويحافظ باستمرار على وجوده بالعملية الفاعلة للفطنة، التى

([٢٤]) نفس المرجع: صـ٣٩

هي تنفس الإله، وفضلًا عن هذا فإن بتاح في استعراضه لما صنعه، كان راضيًا، أعني، مثل إله الخلق" رأى أن ما صنعه كان صالحًا".[٢٥]

هكذا قامت مسرحية منف على أن الإله بتاح هو الرب الخالق القديم، وأن الأرباب الأخرى التى عرفها البشر لم تكن غير صور من بتاح. [٢٦]

وإذا كانت تمثيلية منف، وإذا كان الحديث فيها لا يحويان أكثر من سلسلة من عبارات ميتافيزيقية، لكانت أهمية هذه الأعمال محدودة، ولكن للنص أهمية كبيرة أكثر من ذلك، وتماما مثلما نجد هنا أولى الميتافيزيقيات، نجد الأخلاقيات أو السلوكيات، ولما كان ذلك مطلباً ضخماً من أي نقش قديم، لذا يجب أن نذكر أنفسنا بأن الكلمات المكتوبة لابد قد جرى التحدث بها منذ وقت طويل مضى، وأنها نُوقشت ذهنيًا منذ وقت أطول، وبالنسبة للمسائل الأخلاقية، يجب أن نفترض مسبقاً وجود أجيال كثيرة من خبرات بشرية مختلفة، لأن الناس لا يبدءون في التفكير في المسائل السلوكية تفكيرًا منهجيًا حتى يصبحوا على دراية بصراع الولاء، وحتى يمكن أن يكونوا على استعداد للتميز بين الالتزام والمصلحة الذاتية، وحتى اليوم، فإن هذا التميز غير معروف دائماً، ولقد كان هناك فلاسفة يعتبرون إنكار هذا التميز أمرا ذا اهتمام بالغة، ومع ذلك، فإن ما يشدنا على أن له أهمية خالصة فيما يتصل بفلاسفة منف هو أنهم يسعون لإقامة نمط مقدس للسلوك الأخلاقي، يقول

([٢٥]) نفس المرجع: صـ٣٩

([٢٦]) د.سمير أديب: موسوعة الحضارة المصرية القديمة، العربي، ط١، القاهرة،٢٠٠٠م ، صـ٨١٤.

النص :" **تمنح الحياة للمسالم، ويمنح الموت للمذنب**" وهي عبارة برغم أنها غامضة إلا أنه يوضحها إلى حد ما التعريف الذي يتلوها، عن المسالم بأنه هو الذي يفعل ما هو مرغوب فيه " وتعريف المذنب بأنه يفعل ما هو مكروهً. [٢٧]

هكذا نجد في تمثيليه منف أو المسرحية المنفية اشارة وجيزة عن أقدم مبادئ جاءت عن طريق التفكير والتأمل، فالرجل الفاضل يسمى محبًا للسلام وبالنص الحرفي "حامل للسلام" وهو تعبير أخلاقي بلا شك، يعرف الرجل الفاضل بعلاقته بمن حوله، وعلى النقيض منه حامل الجريمة أو المجرم فهو الذي يخطئ في حق من حوله. [٢٨]

وبذلك تكشف لنا تمثيلية منف عن أقدم تقدير للسلوك بصفته مرضيًا أو غير مرضي وهاتان الصفتان المتقابلتان كانتا صفتين اجتماعيتين، وكان ظهورهما نتيجة التطور الاجتماعي، غير أن الذي يعوقنا عن إدراك كنة هذا التطور ومنشئه افتقارنا التام لمصادر معاصرة، سنجد في الأدوار المتأخرة من الرقي عدة براهين لا تزال باقية تكشف لنا عن أصل تلك العوامل التي حدت بالناس القدامى إلى أن يدركوا أن بعض السلوك محبوبه وبعضه مذموم، وهذه المرحلة من الأخلاق كانت في بادئ الأمر عادة من العادات وكان التقدم حتى في تلك المرحلة المبكرة قد خطأ خطوات بعيدة لدرجة أن السلوك صار موضوع تفكير في أذهان أقدم المفكرين المعروفين لدينا من

([٢٧]) أ.ف.توملين: فلاسفة الشرق، ص ص٤١:٤٢

([٢٨]) جيمس هنري بريستيد: فجر الضمير، صـ٥٩

عهد القرون السحيقة، ولا شك أن كل ذلك دليل على ظهور رقى اجتماعي وخلقي يقع في أفق سابقة بكثير لاقدم أفق تاريخي عرف لدينا إلى الأبد.[٢٩]

(٢٩) نفس المرجع: صـ٥٩

الفصل الثاني

تعاليم بتاح حتب

" تعاليم بتاح حتب وتطور الحياة الخلقية"

❖ **تمهيد:**

لقد كان موضوع الخلق الإنساني تحت محك البحث، فكان يعبر عن هذا الخلق أو ذاك في المجتمع بأنه محبوب أو مكروه(أى ممدوح أو مذموم)، وقد كان هذا واضحًا كل الوضوح في تمثيلية أو مسرحية منف، ومع تطور الفترة التاريخية تكشف لنا لمحات التطور الظاهرية أن الحياة المصرية القديمة كانت تشغلها في ذاك الوقت تلك الانتصارات المادية التي لم يسبق لها مثيل، إذ لم يوجد شعب آخر في بقاع العالم القديم نال من السيطرة على عالم المادة بحالة واضحة للعيان تنطق بها آثاره الباقية حتى الآنمثل ما ناله المصريون الأقدمون في وادي النيل.

أما الأخلاق فهي ادراك جوهر الحياة المعنوي الذي لا يدرك باللمس واللون من العادات والتقاليد والصفات الشخصية المشكلة بتأثير القوى الاجتماعية والاقتصادية والحكوميةالتى تكون اتجاه الفرد وتدفع بالنفس الباطنة إلى اتخاذ موقف وقتي حاسم تكون جوا أسمى للعالم القديم يصعب تحديده، وعلى أية حال فإن ما تكشفه لنا المصادر الباقية يعد ذا أهمية فريدة في بابها، إذ تظهر لنا هذه المصادر – متون الأهرامات ونصائح بتاح حتب المشهورة– الخطورة الثابتة للتطور الخلقي بعد تمثيلية من التى تؤلف أقدم دور في تطور الإنسان الخلقي وهو الدور الذي كون أعظم الخطوات الأساسية في تطور الحضارة.[٣٠]

([٣٠]) هنري برستيد: فجر الضمير، صـ١٣٠

لقد سادت التفكير المصرى القديم ثلاث اتجاهات رئيسية هى:

❖ **الاتجاه الأول: بتاح حتب**

(نزعة التفاؤل): مظهر إيجابى للحكمة

إن أقدم صورة للحكمة المصرية القديمة يمكن تلمسها فى تعاليم " بتاح حتب " الذى ظهر حوالي..٢٧ أو ٢٨٠٠ ق.م أى إلى ما قبل كونفشيوس وسقراط وبوذا بألفى عام وثلاثمائة على وجه التقريب. [٣١]

❖ **تعاليم بتاح حتب:**

تكفل بالنصح والتوجيه فى مصر القديمة أطراف ثلاثة: آباء مثقفون، ومعلمون من الكهان والمدنيين، ثم أدباء انتحلوا لأنفسهم سمات الاباء تارة وسمات المعلمين تارة أخرى، وتفاوتت المستويات الاجتماعية للأطراف الثلاثة، فكان منهم أمراء ووزراء جنبًا إلى جنب مع أفراد من أواسط الكتاب والكهان؛ مما يعنى أن الحكمة لم تكن وقفًا على طبقة معينة من الناس دون أخرى، وقد تلاقت سبلهم فى ثلاث نواح، وهى: أن أغلبهم نسب نصائحه إلى خبرته الشخصية وتجارب أسلافه أكثر مما نسبها إلى وحى السماء وأوامر الأرباب، وأن كلًا منهم حاول أن يتجاوب بتعاليمه مع الأوضاع التى ارتصاها الفراعنة لمجتمعه بعد أن ظن فيها القداسة وردها إلى عدالة الأرباب، وأن أغلبهم تحرى الإقناع والتوسط فى تكييف أوامره ونواهيه.[٣٢]

([٣١]) د.حربي عباس: الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص ص١٩،١٨

([٣٢]) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الاول" مصر والعراق"، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٢م، صـ٥١٧

ولقد كان إتيان الخير والحق يتوافق إلى حد كبير مع السلوك الطيب، وقد كان ذلك يُلقن للشباب من خلال فرع خاص في الأدب هو أدب التعاليم، وهو عبارة عن مجموعة من الحكم والنصائح التي تشكل الحكمة العملية أو بالأحرى الذكاء في تناول الحياة، وهذه التعاليم كان يفترض أنها من نسج رجال ناجحين في حياتهم ومستقبلهم، وعلى ذلك فقد كان هناك ضمان معين لنجاح مماثل لأولئك الذين يتبعون هذا النهج، وهناك أجزاء من الأعمال المتأخرة من هذا الفرع من الأدب المسماة تعاليم « أمنموبي *Amenemope* » والتي صيغت في عصر الأسرتين العشرين والواحد والعشرين يبدو أنها وجدت طريقها في شكل محرف إلى « أمثال» العهد القديم، وأقدم نموذج معروف لهذه التعاليم هي التي نسبت للحكيم "بتاح حتب - *Ptah* " *hotep*الذي كان وزيرًا في الأسرة الخامسة وتتركز حول سلوك الإنسان إزاء رؤسائه في مختلف شئون الحياة ولب هذه التعاليم أن "ما يحدث هو أمر الإله الذي يهب المكانة العظمى" وأن النهج الأفضل للشخص الراغب في التقدم هو ألا يعمل في تناقض مع النظام الراسخ.[٣٣]

ولقد تجسدت هذه الأفكار لدى بعض المفكرين الذين توالت اكتشافات كتاباتهم لدى علماء الآثار والتاريخ منذ فك رموز الكتابة الهيروغليفية، وكان من أوائل هؤلاء المفكرين "بتاح حتب" الذي عاش في حوالي (٢٧٠٠) ق.م أي قبل ظهور الفكر الغربي عند اليونان بحوالي ستة وعشرين قرنا كاملة.[٣٤]

([٣٣]) ياروسلاف تشرني: الديانة المصرية القديمة ، ترجمة د أحمد قدري ، مراجعة د.محمود ماهر طه ط ١،١٩٩٦م ، دار الشروق ، القاهرة ، صـ١٠٣

([٣٤]) د. مصطفي النشار : مدخل لقراءة الفكر الفلسفي ، دار قباء، القاهرة، ١٩٨٨، صـ٣٦ .

أن حكم بيتاح ونصالحة مكتوبة على ١٨ صفحة من ورق البردى وتعرف باسم بردية برسي نسبة إلى الأثري *prissc* الذي أذاعها به ١٨٤٧م، وقد كتب بتاحتب هذه الحكم والنصائح وهو وزير الملك اسيسي أحد ملوك الأسرة الخامسة، وقد كتبها وله من العمر ١١٠سنة، ولقد كانت هذه الحكم والنصائح تدرس في ذلك العهد وبعده في المدارس، وكان التلاميذ يكتبونها على قطع من الخزف أو على الواح ملساء من الحجر، وذلك لغلا الورق البردي انذاك. [٣٥]

وقد اكتشفت لهذا المفكر المصري القديم ثلاثة وأربعين لوحة ترجمت وأطلق عليها بعض المؤرخين "مخطوط الحكمة" وفي هذا الكتاب ينصح بتاح حتب إبنه، وقد دارت معظم هذه النصائح حول تعليم ابنه الأخلاق الحميدة والحياة الصالحه ورسم فيها صورة للإبن الحكيم الذي ينبغي أن يعيش حياة أخلاقية أساسها "ضبط النفس"، وهي نفس الفضيلة التي ستصبح أحد أحجار الزوايا في الفكر الأخلاقي اليوناني وخاصة عند المفكرين الكبار سقراط وأفلاطون وأرسطو. [٣٦]

([٣٥]) سيروم فلندرز بتري: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة،ترجمه وعلق عليه وقدم له/ حسن محمد جوهر، عبد المنعم عبد الحليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٧٥م، صـ١٤٨

([٣٦]) د.مصطفي النشار : الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ج ١" السابقون على السوفسطائية، دار قباء، القاهرة، ١٩٨٨، صـ٣٧.

❖ **أهم الفضائل في حكم بتاح حتب:**

تسود جميع حكم ذاك الوزير السياسى المسن روح الشفقة الكريمة، وهي تبتدئ في نظره أولًا ببيت الرجل وأسرته التى كانت تعد رابطتها على أعظم جانب من الأهمية والمكانة، ثم تمتد إلى من توجد بينه وبينهم أى معاملة أو علاقة رسمية، يبدو لنا ذلك مما يوصى به هذا الحكيم المسن ابنه بأن يتوخى في مسلكه المرح والابتهاج، إذ يقول له: **"كن باش الوجه ما دمت حيًا"**، ثم يستمر في كلامه متأثرًا بروح تشعر بأنها هى أصل للمثل المشهور لدينا : **" لافائدة من النحيب على اللبن المسكوب"**، وذلك المرح البالغ البادى من روح تلك الكلمات يتفق مع الحاح ذلك الوزير المسن فى طلبه للراحة والترفيه ومن المحتمل أن بتاح حتب لا يشير فيما يأتى من كلامه إلى أكثر من الحث عل الاهتمام باقتناص الفرص للتمتع بألوان الطعام اللذيذة وطرب الأسماع بالموسيقي ومزاولة الرقص، والتلذذ بمشأهدة الحديقة الغناء والرياضة بالصيد فى المستنقعات، أو الذهاب إلى ضيعته محمولًا في محفة فوق أكتاف خدمه وحوله الذين يتحببون إلى سيدهم فى أغانيهم وهم يرددونها على سمعه **"ما أسعد الذين يحملون المحفة، خير لنا أن تكونى ملوءة من أن تكونى خالية"**.[٣٧]

([٣٧]) جيمس هنري بريستيد. فجر الضمير، ص١٤٨-١٤٩

- **فضيلة عصمة البدن:**

"إحذر مخالطة النساء، فما طاب مكان حللن فيه، ومن سوء الرأي أن يتلصص عليهن إنسان، وكم من امريء ضل عن رشاده حين استهواه جسد براق ثم تحول عنه إلى هباء، وأصبحت فترات متعته القصار أضغاث أحلام وأفضت به إلى الهلاك"، ثم عقب على ذلك بعبارات سائرة قال فيها : **"اينساق الفتى إلى الإثم والنهي ينهاه، ألا تفعل الإثم فالإثم عار، وارأ بنفسك عن وخز الضمير كل نهاره"**، وعبارات أخرى مشابهة قال فيها **"مهموم النفس طوال يومه لن يصيب لنفسه فترة هنيئة، ومكشوف النفس طوال يومه لن يشيد لنفسه دارا سعيدة، ومن أطاع هواه انتهى إلى التمني دون سواه"**

وقال له وهو يعظه ألا يخضع لمطالب بدنه، وأن يكرم نفسه ويكرم من حوله : **" إذا طعم بدنك والتفت وجهك إلى جيرانك (أي أكرمتهم) أطراك الناس من حيث لاتدري، أما إذا ضل الفؤاد وأطاع جسده فإنه يكون قد أحل صغاره محل حبه، وتعس عقل صاحبه وساء وجهه بما جرته عليه نفسه، ولقد عزت نفوس أتباع الرب وحده، ومن أطاع بدنه كان عدو نفسه".** [٣٨]

([٣٨]) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الاول" مصر والعراق"، صـ ٥١٨

- **المسؤلية الأسرية:**

حاول بتاح حوتب في سياق حديثه أن يصور لابنه سبيل الاستقرار فى الأسرة قائلا له:

" إذا أصبحت كفئا كون أسرتك ، واحبب زوجتك فى حدود العرف أو عاملها بما تستحق، أشبع جوفها ، واستر ظهرها ، وعطر بشرتها بالدهن العطر ، فالدهن ترياق بدنها ، وأسعدها ماحييت، فالمرأة حقل نافع لولى أمرها ، ولاتنهمها عن سوء ظن، وامتدحها تخبت شرها ، فإن نفرت راقبها ، واستمل قلبها بعطاياك تستقر فى دارك، وسوف يكيدها أن تعاشرها ضرة فى دارها " . (٣٩)

- **التحذير من النساء:**

إذا أردت أن تحافظ على الصداقة في بيت تدخله سيدًا أو أخا أو صاحبًا ، فأحذر القرب من النساء ، فإن المكان الذي هن فيه ليس بالحسن ومن الحكمة أن لا تحشر نفسك معهن .

- **فضيلة السلوك الحسن:**

" لا تزه بنفسك لأنك عالم، بل تحدث إلى الجاهل كما تحدث إلى الحكيم، لأن الحذق لا حد له، كما أن الصانع لا يبلغ حد الكمال في حذق صناعته، والكلام الجميل أندر من

---

(٣٩) نفس المرجع: ، ص٥١٧

أحجار الزمرد التي نعثر عليها بين الحصا"، واحذر أن تخلق لنفسك الأعداء بأقوالك ولا تتخطى الحق ولا تكرر ما قاله انسان غيرك، أميرا كان أو فلاح ليفتح به قلوب الناس له لأن ذلك بغيض إلى النفس". (٤٠)

- **فضيلة الترويح عن النفس:**

لقد دعى بتاح حوتب ابنه إلى سبل التنعم مع البساطة والتوسط قائلًا "**ساير نفسك ماحييت، ولكن لاتتجاوز العرف، وإياك أن تبتر ساعة المتعة، فالنفس تأبى أن يفسد وقت متعتها، ولاتستنفذ من شئون اليوم أكثر مما يعول دارك، وعندما يواتيك الثراء ينبغى أن يستمتع القلب، فلن يجدي الثراء إذا أهمل القلب، وكن سمح الوجه مادمت حيًا، فإن مايخرج من الشونة لن يعود فيدخلها**". (٤١)

- **الحزم في المصاحبة:**

"**إذا كنت تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبته فلا تسألنه، ولكن أقترب منه، وكن معه منفردًا . . .وأمتحن قلبه بالمحادثة فإذا أفشي شيئًا قد رأه، وأتى أمرًا يجعلك تخجل له فعندئذ أحذر حتى في أن تجاوبه . . .**"(٤٢)

- **فضيلة ضبط النفس:**

لقد كان بتاح حتب يحث على تعلم وتعليم الفضيلة (فضيلة ضبط النفس) وهذا المبدأ أصبح فيما بعد أحد أحجار الزوايا في فلسفتي

---

(٤٠) النفس د.حربي عباس : الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية ، صـ١٩

(٤١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، صـ ٥١٧

(٤٢) جيمس هنري بريستيد فجر الضمير، ص ١٤٦

أفلاطون وأرسطو، وقد بين التمتع بالأخلاق الحميدة وبين الارتقاء في المناصب السياسية، فاعتبر أن السياسي الناجح هو الذي يمكنه ضبط النفس أمام الحاكم الإله وأمام الناس وهو الذي يجيد الإستماع إلى الأخرين، ويستقبل صاحب الشكوى من الناس ببشاشة حتى ينتهي من شكواه، وهو الذي يجيد فن الحديث والمجادلة بشرط أن يجيد الإستماع قبل إجادة الكلام، [٤٣]وفي هذا كان يقول :

" وإذا كنت ذا سلطان فاسع لأن تنال الشرف عن طريق العلم ورقة الطباع. . . احذر أن تقاطع الناس وأن تجيب عن الأقوال بحرارة، أبعد ذلك عنك وسيطر على نفسك "، ويقول أيضا:

" ولتكن أعمالك في مناسباتها وكلماتك في موضعها، فالرجل العاقل لا يتحدث بتاتا في أمور لا يعرف عنها شيئا، ودعني مرة أخرى أحذرك "أكبح جماح نفسك والجم لسانك". [٤٤]

- **المسؤلية السياسية:**

أوصى الوزير ابنه بحسن الاستماع إذا أصبح صاحب منصب وجاه:

" ترفق حين تستمع إلى حديث الشاكي، ولا تنهزه حتى يفضي بما في جوفه، ويحكي ما جاء من أجله، فالمتظلم يجب أن يؤمن السامع على قوله حتى ينهى ظلامته، والمهموم قد

([٤٣]) د . مصطفي النشار : مدخل لقراءة الفكر الفلسفي ، ص ٣٧

([٤٤]) د.حربي عباس : المرجع السابق، صـ٢٠

يفضل أن يواسيه السامع عن أن يقضي له حاجته، ومن شأن حسن الاستماع أن من يريح الفؤاد". [٤٥]

- **معاملة أصحاب المظالم:**

"إذا كنت حاكمًا، فكن شفيقًا حينما تسمع كلام المتظلم، ولا تسئ إليه إلى أن يغسل بطنه، ويفرغ من قول ما قد جاء من أجله. . . وإنها لفضيلة يزدان بها القلب أن يستمع مشفقًا". [٤٦]

- **ادب المجالس:**

" التزم الصمت فإنه أحسن من ازهار وضيع الكلام، وتكلم فقط إذا كنت تعلم بأنك ستحل المعضلات، وإن الذي يتكلم في المالس لفنان، فصناعة الكلام أصعب من أى حرفة أخرى، وعليك أن تقدم للأمير النصيحة التى تساعده لأن قوتك يتوقف على مزاجه، وبطن الرجل المحبوب تُملاء وظهره يكسى تبعًا لذلك، كن نزر الكلام. . . ، وكن ثابت الجنان طوال كلامك، فعسى أن يقول الأمير الذي يسمع كلامك، ما أصوب الكلام الذي يخرج من فمه". [٤٧]

([٤٥]) د.عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الاول" مصر والعراق"، صـ٥١٨.

([٤٦]) جيمس هنري بريستيد فجر الضمير، ص١٥٠

([٤٧]) جيمس هنري بريستيد فجر الضمير، صـ١٤٥.

- **فضيلة طاعة الرؤساء:**

ردد بتاح حوتب تقاليد عصره بوجوب طاعة الرئيس أيا ما كان، باعتباره أكبر في السن والمقام، وبيده المنع والعطاء، وباعتباره ممثلًا للفرعون، واستخدم لذلك عبارات قد نرضى أقلها ونرفض أكثرها، ولكنه في مقابل ذلك لم يشأ أن يصرف ولده إلى انتظار الخير من الكبراء وحدهم، وإنما التمس له كذلك من جانب الإيمان والثقة بالنفس مايكفل له الاتزان السلوكي في عمله ويغنيه عن تملق الرؤساء وذل الرجاء، قائلا له:

" والرجل من قال اكتسبت بعملى . . . ، وليس الرجل من قال أتمنى لنفسي، وقد يقول إنسان لسوف أشبع هنا، فإذا هو في غده محروم من خيرات الكبار، ويقول لسوف أغنى هناك، ثم ينتهي إلى ترك ثروته لمن لايعلمه، ذلك أنه ماتحقق تدبير للخلق، وأن ما أراده الرب يتحقق، فإذا عزمت أن تحيا بالقناعة أتاك ما قدره لك الأرباب بأكمله، والرزق وفق إرادة الرب، والجحود هو من يعترض على إرادته"

ثم دله على حال هي الغني بعينه وقال له يصفها:

" هي أن تزكو سمعتك بغير أن تتكلم . . . ، ويطريك الناس من حيث لاتعلم " . [٤٨]

([٤٨]) د.عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الاول" مصر والعراق"، ص ص٥١٨، ٥١٩.

- **إنزال الناس منازلهم:**

"إذا كان رئيسك فيما مضى من أصل وضيع فعليك أن تتجاهل وضاعته السابقة، واحترمه طبقًا لما وصل إليه، لأن الثمرة لا تأتى عفوًا ."[٤٩]

- **معاملة الأبناء:**

" إذا كنت رجلًا ناجحًا في عملك، ووهبك الإله ولدًا من فضله وكرمه، فاذا سلك هذا الولد صراطًا مستقيمًا واقتفي في الحياة أثرك، وسهر على رعاية مالك، فعليك أن نمنحه كل ما تستطيع من بر وعطف ورعاية، ولا بدع فإنه ولدك الذي سوف يخلفك في حمل شعلة روحك المقدسة، وهي روح الآباء والأجداد التي حملتها قبله، ولا تدع قلبك ينصرف عن محله مهما كانت الأسباب التي قد تدعوك إلى ذلك" . (٥٠)

- **التحذير من الشراهة:**

" لا تكونن شرهًا في القسمة، وأنبذ الطمع حتى في حقك،ولا تطمعن في مال أقاربك، فإن الإلتماس اللين يدي أكثر من القوة . . . وإن القليل الذي يؤخذ بالخداع يولد العداوة حتى عند صاحب الطبع اللين، فإذا أردت أن يكون خُلقك محمودًا وأن تحرر نفسك من من كل قبيح فأحذر الشراهة فإنها مرض عضال لا يجرى شفاؤه والصداقة معها

---

(٤٩) جيمس هنري بريستيد فجر الضمير، ص ١٤٤.

(٥٠) سيروم ، قلندرز يتري : الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، صـ١٢٦

مستحيلة،لإنها تجعل الصديق العذب مرًا، وتقصي ذا الثقة من سيده،وتعل كلا الأبوين كالغرباء، وكذلك تفعل في أخوة الأمهات، وتفصل الزوم من زوجه، فهي حزمة من أنواع الشر،وعيبة بها كل شر مرذول، والشره لا قبر له" .[٥١]

- **التحلي بالفضيلة:**

أدرك بتاح حتب العلاقة الوطيدة بين النفس وبين التحلي بكل ما هو فاضل ومحمود أي بكل ما هو أخلاقي؛ فالتحلي الفضيلة من شأنه في نظر مفكرنا الحفاظ على الصداقة والحفاظ على الثقة بين الفرد وسيده، والحفاظ على الحب الأسري بين الزوج والزوجة، وبين الآباء والأبناء والأمهات والأخوال.. الخ والتحلي الفضيلة لا يكون بالطبع إلا إذا أعمل الإنسان عقله في كل سلوك يسلكه وقد عبر بتاح حتب عن ذلك في عبارة ذات مغزى بقوله:

"اتبع لبك (أي عقلك) ما دمت حيا" . [٥٢]

- **فضيلة بر الوالدين:**

كان بر الوالدين من أهم الفضائل البارزة عند المصرين، وهذا ما نجده مذكورًا في أحد النقوش القديمة مرارًا وتكرارًا في جنبات الأهرامات أن المقابر الضخمة التى بها كانت من صنع الأبناء البررة لأبائهم المتوفين، وأن الأبن كان يُعد لوالده مدفنًا فاخرًا، بل

([٥١]) جيمس هنري بريستيد فجر الضمير، ص ص١٤٧،١٤٨.

([٥٢]) د . مصطفي النشار : الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، ج ١ ، صـ ٣٧.

إن أحد الأبناء من أهالي ذلك العصر قد فاق كل من كان سواه من الأبناء في بره بوالده، فقد ذُكر في نقوش قبره ما يأتي:

"والآن قد عملت على أن أدفن في نفس القبر مع "زاوا" (أي والده) لكي أكون معه في مكان واحد، على أني لم أفعل ذلك لأني لست في مكانة تؤهلني لبنا قبر ثان، بل فعلته حتى اتمكن من رؤية "زاو" كل يوم، ولكي أكون معه في المكان عينه".

- **فضيلة إقامت العدل:**

ختم الوزير المسن نصائحه لابنه بعبارة تحبب إلى نفسه العدالة إذ يقول له فيها: " **تأمل! إن الولد النجيب الذي يحبه الإله يقوم بأداء أكثر مما يؤمر، فهو يقم الحق وقلبه يسير على صراطه، وبقدر ما تصل إلى ما وصلت أنا إليه سيكون جسمك سليمًا ويكون الملك مرتاحا إليك فى كل ما يجرى، وكذلك تصل إلى السن التى وصلت إليها، وأن السنين التى عشتها على الأرض ليست بالقليلة، فقد بلغت العاشرة بعد المائة، والملك قد حبانى بمكافأة تفوق كل مكافآت الأجداد لأني أقمت العدل للملك حتى الممات".** (٥٣)

لقد أكد بتاح حتب على أن النظرة الفلسفية هي أحسن ميراث يستطيع المرء أن يتركه لابنه، ولقد أوضح بتاح حتب أن هدفه من مخطوطه في

(٥٣) جيمس هنري بريستيد فجر الضمير، ص ص١٥٠-١٥١

الحكمة هو أن يمكنه من أن يصبح رجلاً صالحًا، لذا اختتم نصالحه بهذه العبارة:

"لن يمحى من هذه البلاد إلى أبد الدهر لفظ من الألفاظ المدونة هنا ولكنها ستتخذ نماذج وسيتحدث عنها الأمراء أحسن الحديث . . . إن كلماتي ستعلم الرجل كيف يتحدث، أجل إنه سيصبح إنسانًا حاذقًا في الطاعة بارعًا في الحديث وسيصيبه الحظ الحسن وسيكون ظريفة إلى أخر أيام حياته وسيكون راضيًا على الدوام". (٥٤)

❖ الاتجاه الثاني: ايبوور

(نزعة التشاؤم): مظهر سلبي للحكمة

إن نزعة التفاؤل التي مثلها بتاح حتب لم تستمر طويلًا إذ سرعان ما داهمها خطر الشيخوخة فأحلها إلى نكد وكآبة، وترتب على ذلك أن حلت نزعة التشاؤم محل التفاؤل، وتلك النزعة التشاؤمية في الفكر المصري القدم يمثلها (ايبورر) *IPUWER*، وهو حكيم مصري، كان مهتمًا كاهتمام كل فيلسوف عظيم بالظروف الإنسانية، وكانت نصائحه التي تتخذ صورة تحذيرات، تشير إلى الشرور الاجتماعية لعصره لا في عبارات تنم على الدعاية السياسية، بل في عبارات تشير إلى زوال الوهم الفلسفي، وهو في الواقع أول فيلسوف يقرن تدهور الحضارة بما اسماه " جلبرت مورى "

(٥٤) د.حربي عباس : الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية ، ص ص١٩، ٢٠.

Gilbert Muray (انهيار الأعصاب) *Failure of nerve* أي تدهور عزيمة الإيمان بإثارة الشك فيما يتصل بخيرية بل واقعية الآلهة.[٥٥]

فلقد كان ايبورر صاحب آراء إصلاحية عبر عنها في بردية حفظها عنه المصريون ورددها الوطنيون أجيالًا طويلة من بعده، ثم سجلوا قصته وآرائه على صفحات البردي، وبقيت صورة من صورها في بردية كتبها أحد أدباء الدولة الحديثة، وقد أطلق برستيد على هذه البردية اسم "تحذيرات ايبوور"، وصف فيها ايبوور حالة الفوضى الأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عمت مصر في أعقاب اضطرابات الثورة الاجتماعية التيي شهدتها البلاد مع نهاية عصر الدولة القديمة وأبان مرحلة الانتقال الأولى حول عام٢١٩٠-٢٠٧٠ ق.م، وهي تشتمل على ستة أجزاء تبدا كلها بكلمة أولى واحدة تتكرر كالأزمة في كل مقطع من المقاطع هي كلمة "انظر" أو "انظروا" وعقب هذه الكلمة يورد ايبوور حالة من حالات الإضطراب والفوضى، ويصف حالة اليأس التي عمت البلاد وظهرت على وجوه المواطنين، ويتدرج بنا النص من وصف لهذه الحالة المضطربة اليائسة إلى التحسر على التوازن المفقود للمملكة المستقرة، ثم ينتقل من هذا أو ذاك إلى التنبؤ والحلم بمستقبل أفضل ستعود فيه حياة المصريين إلى سابق عهدها، تلك الحياة المستقرة – المرحة على ضفاف النيل.[٥٦]

إلا أن ايبوور كان متشائمًا لدرجة أنه حاول أن يضع حدًا للشقاء الإنساني عن طريق انتحار الجنس البشري، وقد جاء ذلك في قوله: "**من الأفضل أن تنتهي**

([٥٥]) نفس المرجع: صـ٢٢

([٥٦]) د.مصطفي النشار: الخطاب السياسي في مصر القديمة، صـ١١٦

حياة البشر فلا حمل ولا ولادة"، ولا يقف تشككه عند هذا الحد الذي يجعل من الحياة وجهًا أسود قاتمًا ويجعل من الموت الخلاص الوحيد للإنسان وإنما يتابع قوله ملحًا على أن الحياة لا تستحق الحياة وأنه خير للمرء أن يسارع بالذهاب منها طواعية بإرادته الحرة وقناعته التامة، وهذا بالطبع يذكرنا بموقف بعض الفلاسفة اليونانيين المتشائمين من الحياة والداعين إلى الخلاص منها عن طريق الانتحار الارادي، وقد ظهر ذلك بشكل واضح في قوله:

"إلى من أتحدث اليوم، الأخوة أشرار يخدع بعضهم بعضاً، قلوب جشعة، وكل امرئ يغتال متاع جاره، لقد اختفى الرجل الشريف من الوجود، بينما يعيش الباغي المتعجرف فائزًا مظفرًا". (٥٧)

بل لقد كان لايبوور قصيدة يمتدح فيها الموت باعتباره خير علاج من آلام الحياة، الحياة التي يعتبرها شقاء وتعاسة ومرض، وقد جاء فيها قوله :

"الموت أمامي اليوم، ولقاؤه كلقاء مريض قد استرد صحته وكخروجه إلى حديقة بعد المرض، الموت أمامي اليوم وكأني جالس تحت الشراع في يوم بليل النسيم، الموت أمامي اليوم كمجرى جدول ينحدر على سفح الجبل كعودة رجل من سفينة حربية إلى داره، الموت أمامي اليوم كاشتياق رجل إلى رؤيته بيته بعد قضائه سنوات طوال في الأسر". (٥٨)

---

(٥٧) د.حربى عباس : الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، ص٢٢،٢٣

(٥٨) نفس المرجع: صـ٢٣

ولعل تلك النظرة التشاؤمية هي ما جعلته يركز على وصف الحالة القائمة بصورتها اليائسة القائمة، ويلاحظ أنه يركز أكثر على تصوير ملامح لثورة طبقية ترتب على حدوثها تدمير البنية الاجتماعية وانقلاب الهرم الاجتماعي، وقد عبر ايبوور بوضوح عن ذلك في قوله :

"انظروا إذن، فالرجال المفلسون صاروا أصحاب ثروات ومن كان يتعذر عليه أن يصنع لنفسه زوج نعال يملك منها أكوامًا"

ويقول أيضًا :

"انظروا إذن، العظماء جوعي ويتألمون، ولكن الخدم أصبح لهم من يخدمهم . . انظروا إذن، الناس يركضون ويتصارعون للتزود بالطعام، الرجل الثري يُسرق ويتم الاستيلاء على أمواله". (٥٩)

لقد صور ايبوور بهذه الصور المتتالية عبر هذا النص ملامح التغيرات الاجتماعية التي حدثت إبان الفترة التي يصور أحوالها، ولا شك أن أبرز هذه التعبرات تتلخص في تلك الفوضى السياسية التي ترتب عليها تغير أحوال الناس فأصبح الغني فقيرة، وأصبح الفقير ثريا! وإذا تساءلنا : كيف حدث ذلك؟! فلن تجد إجابة شافية واضحة من خلال النص نفسه اللهم إذا عزونا ذلك إلى الانهيار السياسي وفقدان السلطة المركزية للدولة لهيبتها في نفوس المواطنين مما ترتب عليه انتشار أعمال اللصوصية والسلب والنهب في طول البلاد وعرضها، فضلًا عن تسرب عناصر أجنبية كثيرة إلى داخل البلاد. (٦٠)

---

(٥٩) د.مصطفى النشار: المرجع السابق، ص ص ١١٨-١١٩

(٦٠) نفس المرجع: صـ١٢٠

وعلى أي حال، فإذا كان ايبورر قد بالغ في عرض الصورة القاتمة لأحوال البلاد الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية إلى هذا الحد الذي جعله يقول:

"أن الإنسان يسير مغمومًا بسبب ما حل بالبلاد، وأن الشقاء أصبح يعم البلاد بأسرها وأن قلب الحيونات صار يبكي أيضًا، وأن القطعان غارقة في النواح بسبب أحول البلاد"

نقول إذا كان ايبوور قد بالغ في عرض هذه الصورة القاتمة عن حال البلاد في عصره، فإنه لم يكن ليفقد الأمل في مستقبل بلاده، فقد ختم نصه الفريد بالتنبؤ بالمستقل السعيد للمملكة المصرية، وفي هذا دلالة قاطعة على أنه لم يفقد المنفعة تمامًا في نفسه ولا في الإنسان المصري القادر رغم كل الظروف غير المواتيه أن يستيقظ وأن يهب لنجدة نفسه وبلاده ليعود بها إلى سيرتها الأول، وليقفز بها إلى عصر جديد من الهدوء والاستقرار والنظام.[٦١] كما أنه بحث طويلًا عن الله، وكان يحمل حملة شعواء على الظلم إذ كان يؤمن في صدق وحرارة بانتصار العدل في نهاية المطاف، كما لم تكن الكراهية والحب عنده إلآ جانبين في حقيقتة.[٦٢]

❖ **الاتجاه الثالث : إخناتون**

(شهيد الحق وصاحب نزعة التوحيد)

تبدو نزعة التوحيد واضحة لدى الملك الفيلسوف الذى ظهر حوالى ألف وأربعمائة عام قبل المسيح: امنحتب الرابع الذى اتخذ لنفسه اسم

([٦١]) نفس المرجع: صـ١٢٤

([٦٢]) د.حربي عباس : الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، صـ٢٣

" إخناتون" ومعناه "مكرس لله "، وقد ترك لنا ميثاقًا للحكمة يصلح لكل العصور وكان ذلك تقريبًا بعد أقل من ثلاثين عامًا من وفاته.[٦٣]

(٦٣) نفس المرجع: صـ٢٤

الفصل الثالث

الفكر الديني بمصر القديمة

الفكر الديني بمصر القديمة

❖ **الآلهة المحلية**:

لقد أخذت الديانة المصرية القديمة في حين نشأتها وفي مراحل طويلة من تاريخها البعيد بتعدد المعبودات وتنوع المعتقدات شأنها في ذلك شأن مثيلاتها من الديانات الوضعية القديمة، ولكنها ظلت أغنى من غيرها، في وفرة نصوصها وموضوع قضاياها وثباتها على مبادئها، ثم رقي تطوراتها التي إنتقلت فيها من عقائد التعدد إلى صور من أفكار التوحيد.[٦٤]

ولقد كان للظروف التاريخية والسياسية أثر واضح، بصفة مستمرة، على الإتجاهات الدينية في مصر، فعندما تكون لك آلهة محلية مفصلة فذلك أمر طبيعي في منطقة مثل المنطقة الواقعة جنوب الدلتا التي لم تكن سوى واد طويل لنهر يمتد حوالي ١٠٠٠ كيلو متر(حوالي ٦٠٠ ميل).[٦٥] فالوضع الديني المصري السحيق يتمثل بعدد لا يحصي من الآلهة المحلين الذين ينظر إليهم كأسياد منطقة.[٦٦] لذا فقد كان عدد الآلهة مرتفع جدًا ولا حد لتنوع طبيعتهم، وبحكم الضرورة، سعى اللاهوتيون في نظرياتهم، أكثر من مرة، لادخال نظام ما على هذه الكثرة التى لا يكاد لا يحصرها عد، وحدث،

---

(٦٤) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، الجزء الاول" مصر والعراق"، ص ٤٧٦،٤٧٥.

(٦٥) جعفر بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمةد.إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة د.عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، العدد١٧٣، ١٩٧٥، صـ٣٥.

(٦٦) أندريه ايمار، جانين أوبوايه: تاريخ العالم، م١" الشرق واليونان القديمة"، نقله إل العربية/ فريدم .داغر، فؤاد ج.أبوريحان، ط٣، منشورات عويدات، بيروت،١٩٨٦م، صـ٨٨

لاسيما لأسباب سياسية، أن قاربوا التوحيد وإن لم يتوصلوا إليه بالفعل أحيانًا.[٦٧] ولعل من أهم العوامل التى ساعدتهم على ذلك تفوق إحدى البلدان على سواها لأن ذلك يعقبه عادة القبض على زمام الحكم ثم بسط ديانة البلد المنتصر على غيره.[٦٨] فمع التوحيد السياسي للبلاد، أصبح إله المدينة العاصمة فى الحال قائد لجميع الآلهة، واتجهت دياناته لاستيعاب الديانات الأخرى، وهنا ما جعلنا مع وجود ديانات كثيرة للصقر، نجد سيادة ديانة حوريس، الإله الصقر الذي توحد مع فرعون الحي، وهذا يعنى أن الديانة الملكية استوعبت الديانات الأخرى.[٦٩]

هكذا كان المصريين فيما يرى لمؤرخ الكبير آثر مي أول من اعتقدوا وجود الإله، وأول من التزموا عقيدة تعرفهم به، وأن معتقداتهم الدينية كانت الطلقة الأولى في إتجاه العقيدة الصحيحة التى تأثر بها من جاءوا بعدهم من عظماء البشرية، ولقد استطاع عقل أولئك المصريين أن يلهمهم بأن لهم حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا، وأنهم محاسبون حسابًا دقيقًا عن عالمهم في حياتهم الأولى، حينما تتجرد أرواحهم من هياكلها المادية لتتخذ هناك في برزخ الأبدية، حيث تجزى أرواحهم بالخير خيرًا وبالشر شرًا.[٧٠]

([٦٧]) نفس المرجع: صـ٨٤

([٦٨]) جيمس هنري برست: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة د. حسن كمال، راجعه/ محمد حسنين الغمراوي، مكتبة مدبولي ،ط٢، القاهرة ،١٩٩٦م، صـ٤٠

([٦٩]) جعفر بارندر : المعتقدات الدينية لدى الشعوب صـ٣٥

([٧٠]) سير و.م. فلندرز بتري : الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ترجمه وعلق عليه وقدم له/ حسن محمد جوهر، عبد المنعم عبد الحليم ،١٩٧٥م، صـ١٢٨.

هكذا تشعبت عقائد المصريين في فهم الأخرة لكنها لم تتجاوز شؤون معيشتهم الدنيوية، واعتقد القوم أولًا أن الوصول إلى حقول الخيرات الأخروية يكون بالاهتمام بالشعائر الدينية والاعتناء بها.[٧١]

❖ **أساطير الخلق**:

الأسطورة هي القصة التي يسرد فيها الإنسان ما يتخيله عن معبوداته، كيف تعيش وكيف تتعامل ويجب ألا ننسى أن ما يتخيله الانسان عن معبوداته انما يستمده من واقع حياته ومن عناصر بيئته، ولذلك تمتاز الأساطير المصرية بخلوها من العنف الشديد والميل إلى سفك الدماء، ولا غرابة في ذلك فقد قضت طبيعة مصر وبيئتها الخيرة أن تكون حياة أهلها سهلة هينة، تسير في هدوء وأمان داخل حدودها.[٧٢] ولما كانت الصدارة في أي مجمع للآلهة تكون في العادة للآلهة المسؤلة عن الخلق، وليس مجمع الآلهة المصرية استثناء من هذه القاعدة، فعلى الرغم من وجود أساطير متعددة في الخلق إلا أن أسطورة هليوبوليسكانت أوسعها انتشارًا.[٧٣] وتقول الأسطورة بأن اتوم Atum وهو المعبود الرئيسي لمدينة هليوبوليس، الذي مثله المصريون على هيئة آدمي يحمل فوق رأسه قرص الشمس، ويعني اسمه التام والكامل، تقول الأسطورة بأنه خلق نفسه بنفسه، علي قمة التل الأزلي الذي انحسرت عنه مياه المحيط اللانهائي، ومن ثم خلق من نفسه معبودين هم شو

---

(٧١) جيمس هنري برست: المرجع السابق، صـ٤٣

(٧٢) د.سمير أديب: موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، صـ٩٥

(٧٣) جعفر بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، صـ٣٦

وتفنوت، الذان تزاوجا وانجبا جب ونوت، الذان تزوجا وانجب أربع معبودات: اوزوريس وازيس وست ونفتيس، وانجبا اوزوريس وايزيس المعبود حورس، وهكذا تكون تاسوع هليوبوليس الذي انجبه الإله الخالق الأول اتوم.[٧٤]

أما عن أن بداية خلق الكون كانت من انبثاق الأرض من الماء فيبدو أنها فكرة وردت على نحو طبيعي على أذهان وادي النيل الذين يرون في بعض الأحيان جزر من الطين تظهر في وادي النيل، والواقع أنه كان من الخبرات المألوفة قبل أن يكتمل بناء السد العالي في أسوان أن ترى القرية المصرية إبان فيضان النيل، كما لو كانت جزرًا خرجت من المياه المحيطة.[٧٥]

هكذا حاول المصري القديم الإجابة على تساءل نشأة العالم وبداية الخلق متأثرًا بما كان يلاحظه من مظاهر الطبيعة التي تتغير وتختل طوال العام، فتختفي حقول مصر مرة عام في لجة من المياه لا تلبث أن تنحسر عنها رويدًا رويدًا، فاعتقد المصري أن الأرض أيضا قد برزت من الماء، وتصوروا أن مكانة عالية من الأرض كان أول ما ظهر على سطح ذلك الخضم القديم الذي سموه " نون"، وكان هذا المكان بمثابة بدء العالم، فهو التل الموغل في القدم أو كما قالوا :" التل المزدهر الذي ظهر في أول العصور" وحددوا مكانه في مواقع مختلفة من مصر وفوق هذا التل القديم ظهرت المعالم الأولي للحياة، وإذ سكنت فيه الضفادع والثعابين وهي من الكائنات التي تتفق مع ما يغمر هذا المكان من ظلام ورطوبة، وسميت هذه الكائنات بأسماء استمدت من طبيعة هذا المكان الليل الظلام الاختفاء

---

(٧٤) د. سمير أديب : المرجع السابق، ص٣٣

(٧٥) جعفر بارندر: المرجع السابق، صـ٣٦

الذبذبة وغير ذلك، وكان هناك شيء آخر فوق هذا التل الطميي شيئ يتناسب مع طبيعة هذا العالم الطيني المجدب، هذا الشيء هو بيضة طائر مائي خرجت منها أوزة استحال بخروجها الظلام الدامس إلى نهار واضح فهي الشمس التي طارت صائحة (ومن أجل ذلك سميت الصائحة الكبيرة) فوق سطح الماء، فكان ذلك بمثابة الضوء الأول والصوت الأول الذي أضاء الظلام الدامس، وانطلق في ذلك الصمت الأزلي الذي خيم فوق العالم، وهناك أسطورة أخرى تقول بأن زهرة لوتس نبتت من الماء الأول وكان يجلس فيها طفل الشمس، ثم تضيف أسطورة ثالثة على ذلك فتقول : إن بقرة كانت تسبح في الماء وجلس فوق ظهرها إله الشمس الطفل، وهذه كلها تخيلات استمدها المصري من بيئته اثناء القبضان.[٧٦]

إلا أن العالم الذي برز من الماء الأزلي كان لا يزال مضطربًا، إذ لم تكن السماء قد انفصلت عن الأرض وكانت إلهة السماء "نوت "مستلقية فوق زوجها إله الأرض "جب"، ولكن أباهما "شو"، إله الهواء زج بنفسه بينهما ورفع السماء إلى اعلى ورفع معها كل حي خلق.[٧٧]

هكذا كانت نشأة عالمنا هذا، إذ أنه منذ انفصال السماء عن الأرض إتخذ الكون وكائناته الشكل الذي نعرفه، ولم يكن هناك من اتصال بين العالم العلوي الأخر السفلي سوى عظام " شو " الذي تحمل ذراعاه الجميلتان "نوت".[٧٨]

([٧٦]) أدولف أرمان: ديانة مصر القديمة" نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، د.عبد المنعم أبو بكر، د. محمد أنور شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ١٠٠-١٠١

([٧٧]) جيمس هنري برست : تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ، صـ٣٥

([٧٨]) أدولف أرمان: المرع السابق، ص ص١٠٢-١٠٣

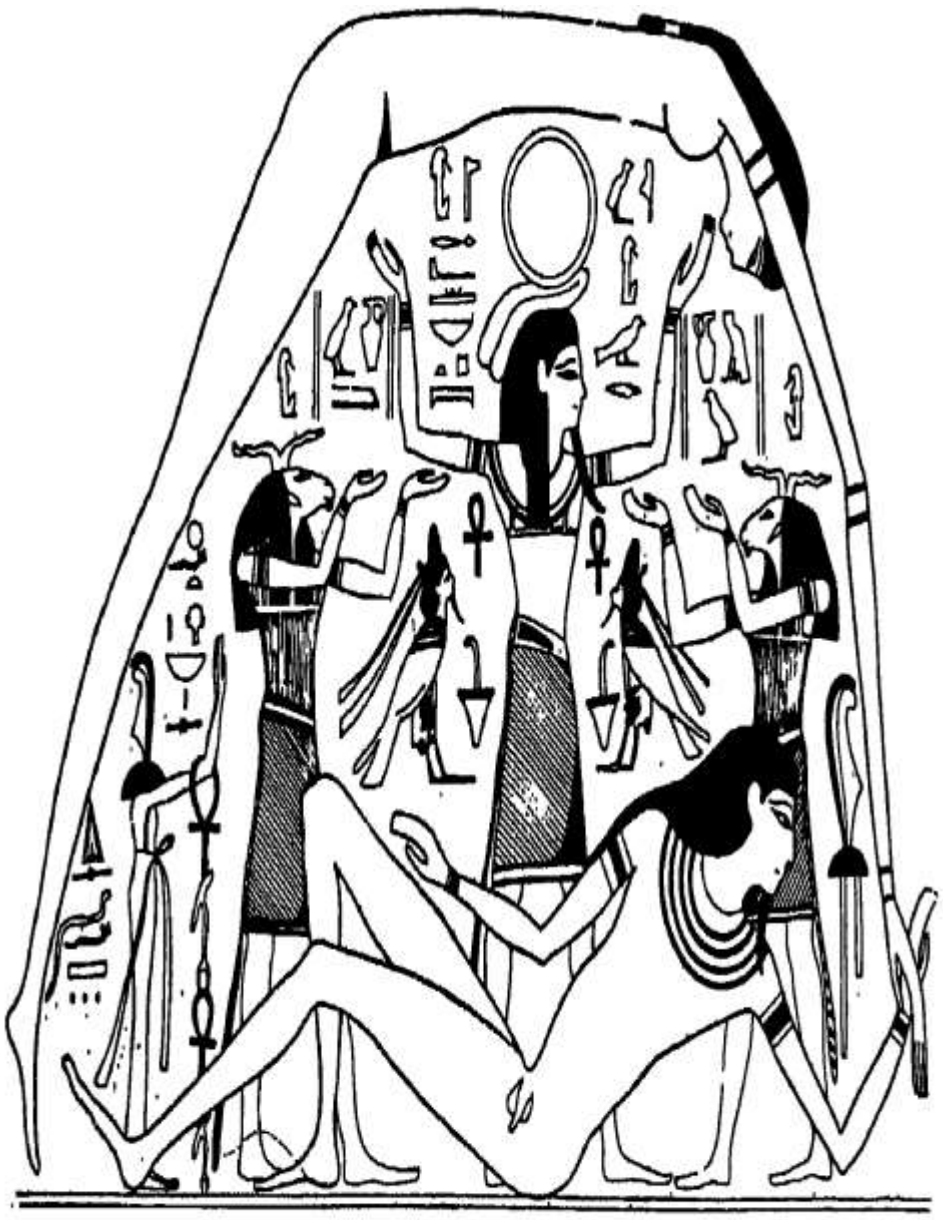

الإله « شو » يفصل السماء الإلهة « نوت » عن الأرض الإله «جب»

هذه أشهر معبودات مصر في العهد القديم، وهناك معبودات كثيرة أخرى أقل أهمية من التي ذكرناها لايسمح لنا ضيق المقام بذكرها مع أن

المعابد المصرية حوت كثيرًا من تماثيلها.[٧٩] ولقد بلغت تلك الأساطير حدًا كبيرًا من ذيوع والأنتشار، فالمصريين منذ أقدم العصور يعشقون القصص الخرافي، لذا نجد أن هذه القصص قد حيكت وتداولها الناس كأساطير محببة إلى نفوسهم قريبة إلى قلوبهم، لأن الآلهة فيها تشبهوا بيني الإنسان فهم يتعاملون ويحبون ويكرهون، ومن ثم فقد خلعوا عنهم ذلك الرداء الذي يجعلهم بعيدين عن متناول يد الإنسان، ويبدو أن القصاصين قد استجابوا إلى رغبة عامة الشعب وانزلقوا في هذه الإستجابة إلى أنهم الصقوا بمعبوداتهم صفات لا تتفق مع جلالها وعظمتها، وهذا مما يثير دهشتنا إلى حد بعيد، وإذا حدث أن تحدث الناس بقصة معينة عن إله في مكان معين فلا تلبث هذه القصة أن تنتشر في البلاد تختلط تارة وتمتزج أخرى بقصص الآلهة الأخرى الخاصة بالأماكن المختلفة التي تنتشر فيها، كما يحدث أيضًا أن تصبح بعض هذه الأساطير مشاعًا بين جميع المصريين.[٨٠]

بل أنه يمكن القول بأن تلك الأساطير العامة عن الآلهة قد سارت جنبًا إلى جنب مع التطور الديني في مصر، وهو التطور الذي انتهى بادماج الكثير من العبادات المحلية في ديانة شعبية عامة، وبذلك تكونت الأساطير العامة التي أصبحت ملكًا مشاعًا للشعب وحده.[٨١]

ولا تكون مبالغين إذا قلنا إن هذه الأساطير جعلت من الآلهة كائنات حية لكل منها صفاته الخاصة، بل هي التي دفعت الناس إلى الشعور نحو

([٧٩]) جيمس هنري برست : المرجع السابق، صـ ٣٨

([٨٠]) أدولف أرمان: المرجع السابق،صـ ٩٩

([٨١]) د. سمير أديب : موسوعة الحضارة المصرية القديمة، صـ ٩٩

البعض منها بالحب ونحو البعض الآخر بالكره والبغضاء؛ فالأساطير هي التي جعلت من "ايزيس "، إلهة طبية ومن " ست" » إله مكروها .[٨٢]

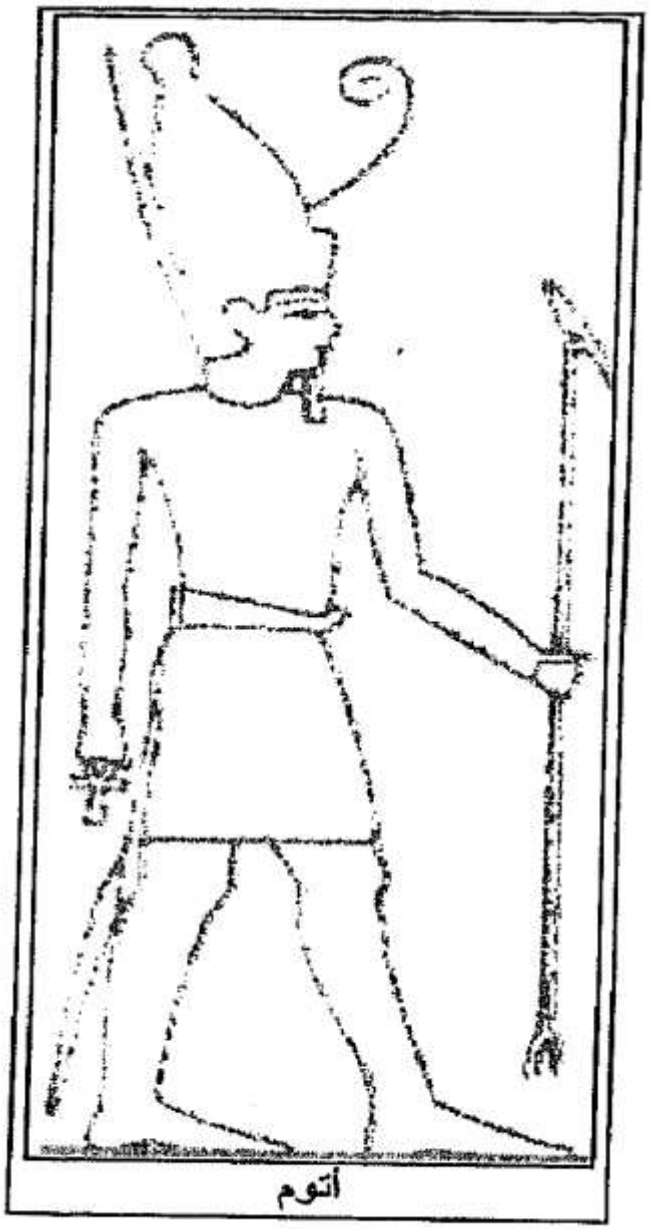

أتوم

([٨٢]) أدولف أرمان: المرجع السابق، صـ١٠٠

❖ **آلهة النيل والشمس**:

مع شعور الإنسان المصري، في كل مكان، بضعفه وعجزه، أمام هذه المعطيات الكونية، شده ميل طبيعي فيه إلى تأليهها.[٨٣] ولقد كان لدى المصريين ظاهرتين طبيعيتين أثرتا أعظم تأثير في سكان وادي النيل، فقد تصور القوم في هاتين الظاهرتين إلهين أثنين كان السيطرة على كل من التطور الديني والعقلي منذ أقدم العهود التى عرفت وهاتان الظاهرتان هما " الشمس والنيل" أو الخضرة التى تروي من مائه، وأما الإلهان فهما إله الشمس" رع" وإله الخضرة " أوزير" وكانا الإلهين العظيمين في الحياة المصرية القديمة، وقد دخلا في دور تنافس منذ عهد مبكر جدًا، فكان كل واحد منهما يبغي لنفسه أسمى مكانة في ديانة القوم، ولم ينقطع هذا التنافس قط إلا عندما محيت الديانة المصرية في ختام القرن الخامس المسيحي، ومن يقف على أصول قصة هذا التنافس الطويل يقف على المنهاج الرئيسي في تاريخ الديانة المصرية القديمة، بل لا نكون مغالين إذا قلنا أنه يقف على دور عظيم من أهم الأدوار في تاريخ حياة الإنسان.[٨٤]

ولما كان القطر المصري ممتازًا على سواه بقلة أمطاره كانت لشمسه مكانة عظيمة في نفوس أهله طوال حياتهم ولذلك فقد شاعت عبادة الشمس في القطر وتركزت في عين شمس المسماه عند اليونان بـ " هليوبوليس"، وهناك أطلق المصريون على قرص الشمس اسم " رع" ثم لقبوه باسم " اتوم" وقت

([٨٣]) أندريه ايمار، جانين أوبوايه: تاريخ العالم، م١" الشرق واليونان القديمة"، صـ٨٩

([٨٤]) جيمس هنري بريستيد: فجر الضمير، صـ٤٣

الغروب وصوروه بشكل رجل هرم قامه في القبر، أما وقت الشروق الذي يظهر فيه هذا الكوكب في ريعان شبابه فيمثلونه بعجل في اللغة الهيروغليفية، وقد تصور القوم لهذا الكوكب سفينتين يطوف فيهما الأوفق تستعمل أحدهما صباحًا والأخرى مساءًا حتى المغيب، بعد ذلك تدخل الشمس الأقاليم السفلى فتخترقها لتشرق على الأرض ثانية جالبة معها النور والفرح والسرور إلى سكان الدنيا، وكان يُرمز للمعبود "رع" في مدينة عين شمس بمسلة، أما في أدفو التى هي مركز عبادته في الصعيد فكان يرمز له بنسر يقال له "حورس".[٨٥] هكذا اتجهت أنظار المصريين أول ما اتجهت إلى الشمس، وقد كان ذلك أمرًا طبيعيًا، ففي بلد أشاعت الشمس قوتها أشعاعًا، كان من الطبيعي أن تتجه الأفكار إليها، قبل غيرها من القوة الكونية، لتحلها في القمة من المراتب الإلهية.[٨٦]

فالشمس تشرق في الصباح وتسطع طوال النهار ثم تختفي مساء في الأفق الغربي،ولكن هذا الاختفاء ليس إلا ظاهريًا ومؤقتًا لأن الشمس لم تكف عن الحياة،وخير دليل على ذلك هو معاودتها الظهور فى الصباح التاليبعد أن أمضت الليل فى عالم غير مرئي، ولقد شكل المصريون اعتقادهم بأن الحياة الإنسان تتماثل مع المسار اليومي للسمش، التى ترسل أشعتها الواهبة للحياة طوال اليوم ثم تغرب في المساء، فالإنسان يولد كما تولد الشمس في الصباح ويعيش حياته الأرضية ثم يموت مثلها، فالتماثل المفترض يقتضي عدم

([٨٥]) جيمس هنري برست: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، صـ٣٨

([٨٦]) أندريه ايمار، جانين أوبوايه: المرجع السابق، صـ٨٩

اعتبار هذا الموت بمثابة نهاية المطاف، فالإنسان يواصل الحياة بعدما يسمى بالموت في عالم خارج نطاق حواسه، وكحتمية منطقية يبعث مرة أخري إلي الحياة مجددًا، فالغرب حيث تختفي كل من الأشمس والإنسان يسمي " غنج *ONKH* "أي (الحياة)،

والسؤال الذي لم يحسم في ديانة الشمس هو :

متي علي وجه التحديد وتحت أية ظروف ستأخذ الحياة الجديدة أو المتجددة مكانها ؟

ورغم ذلك فإن هذه التفاصيل لم تكن كبيرة الأهمية، فالميت مثل الملك المتوفي كان يشارك في المسيرة الليلية للشمس كمشاهد في رفقة إله الشمس، ومن المقارنة والتماثيل بين الشمس والإنسان لم يكن ثم إلا خطوة واحدة لاستكمال الالتئام التام بين الأثنين عندما أعتبر الإنسان بعد موته أنه أضحي جزءًا من جوهر مادة إله الشمس أو بتعبير المصريين " الروح الرئعة للاله رع *en Reikh oker* ".[٨٧]

ولقد كان هناك أيضًا حدثان منتظمان آخران إلى جوار إلى جوار المسار اليومي للشمس دعا حاسة المقارنة لدى المصريين إلى استخلاص المفاهيم عن الحياة من جانب ثم عن الموت وإستمرارية الحياة بعده من جانب آخر، وهذان الحدثان كانا هما فيضان النيل أو الارتفاع السنوي للنهر والذي يستتبعه الازدهارالمبدع للحياة الخضراء التى كانت تكاد تتوقف من قبل الفيضان بسبب الحرارة المتزايدة ونقص المياه، ونفحة الحياة من النيل

([٨٧]) ياروسلاف تشرني: الديانة المصرية القديمة، ترجمة د. أحمد قدري، مراجعة د. محمود ماهر طه، دار الشروق، ط١، القاهرة ، ١٩٩٦م، ص ص١١١:١١٣

والتى تجدد الحياة الخضراء لابد وأنها أثرت بعمق على مفاهيم شعب زراعي وارتبطت منذ وقت مبكر للغاية مع شخص الإله "أوزريس".[٨٨]

❖ عبادة الحيوان :

نشأت عبادة المصريين للحيوانات التي اعتبروها رموز لآبائهم قبل سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد ثم أساءوا فهمها فاعتبروا الحيوانات أكثر من مجرد شعارات أو رموز، ورأوا تلك المخلوقات جديرة بالعناية والعبادة لأنها كانت المكمن الحقيقي للصور النافعة أو الخطرة من القوة الإلهية، وكان إله القبيلة يتجسد في كل مدينة إلى الأبد في حيوان معين يحميه التحريم، ومن أمثلة تلك الحيوانات الماشية والأغنام والكلاب والقطط والقردة والأسود وأفراس النهر والتماسيح والأفاعي والصقر... وغيرها.[٨٩]

ولقد كان العناية التى أولها المصريين القدماء لتربية حيواناتهم تحكم علينا أن نبحث في أصل عقائدهم الدينية، فقد كانوا يقدسون كثيراً من الحيوانات التي تتصل بحياتهم، وإن كانوا لم يقدسوا الحيوان لذاته، إنما قدروا فيه سراً من اسرار الخلق ولونًا من ألوان قدرة الإله، فلقد روعهم مشاهدة الحيوانات المفترسة، والضرر الذي تلحقه بهم، فاخذوا يفكرون فيها، ووجدوا أن خير سبيل لجلب خيرها أو اتقاء شرها أن يتقربوا إليها، وهم في في كلتا الحالتين قد عبدوا الروح الخفي في الحيوان الذي يتقمصها، ويرى بعض

---

(٨٨) نفس المرجع: ص ص١١٣-١١٤

(٨٩) د. سمير أديب : موسوعة الحضارة المصرية القديمة، صـ٤٠٣

العلماء أن هذه المعبودات الحيوانية ليست إلا مظهرًا مجسدًا لقوة الإله الخفي العظيم.[٩٠] فلقد كان اهتمام المثقفين منهم بما تخيروه من هيئات الحيوان والطير يستهدف رغبتين، رغبة الرمز إلى صفات إله خفي ببعض المخلوقات الظاهرة التى تحمل صفة من صفاته أو آية من آياته، ثم رغبة التقرب إليه عن طريق الرعاية التى يقدمونها ضمنًا لما رمزوا به إليه من مخلوقات.[٩١] لذا فقد ندر أن قدس المصريون معبودا ذا رمز حيواني باسم الحيوان المادي الذي يرتبط به، فهم لم يقدسوا هيئة الصقر مثلاً باسم الحيوان "بيك"، ولكن باسم رباني وهو "حور"، ولم يقدسوا هيئه "البقرة" باسمها الحيواني وهو "ايحة"، ولكن باسم رباني وهو "حتحور"، ولم يقدسوا رمز "التمساح" باسمه الحيواني وهو"مسح"، ولكن باسم رباني وهو "سوبك"، ولم يقدسوا رمز الكبش باسمه الحيواني وهو"با"، ولكن بأحد اسمين ربانيين وهما:"خنوم" و"آمون"، ولم يقدسوا السماء باسمها الطبيعي وهو "بت"، ولكن باسم ربتها وهو" نوت"، وهكذا كان الشأن بالنسبة لبعض رموزهم الطبيعية الأخرى.[٩٢]

هكذا خضعت الديانة المصرية في بداية أمرها لعوامل البيئة، وكان من أهم خواص تلك البيئة شمس مشرقة ونيل فياض، يسير في وادي خصب على جانبيه هضبتان، ووراء كل هضبة صحراء شاسعة، وسماء صافيه مليئة بالنجوم، وقمر يظهر تارة بدرًا وتارة هلالًا، وأرض خصبة مليئة

---

(٩٠) نفس المرجع: ص٣٩١

(٩١) د.عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الاول" مصر والعراق"، ص٤٧٦:٤٧٩

(٩٢) نفس المرجع: ص ٤٧٦:٤٧٩

بالنباتات والحيوانات والطيور المختلفة، وقد دفعت هذه المظاهر الطبيعية المصري الأول الذي نشأ على الفطرة، إلى عبادة قوي الطبيعة المحيطة به من حيوان ونبات صورا، وأعطاها أسماء، وصادق منها ما ينفعه، وخشي بأس من يضره منها، ولم تكن آلهة الطبيعة مثل الشمس والقمر قريبة منه، مما اضطره إلى التفكير في آلهة أخرى قريبة منه، ووجد ضالته في الحيوانات التي تسكن في البيئة.[٩٣] فلقد انطبعت في مخيلة الفلاحين الشعبيين في مصر الخصائص المميزة لبعض الحيوانات، التي ارتبطت حياتهم بها، فالثور والكبش مثلًا قد اثرا على هذه المخيلة بقدرتهما الإنتاجية وقواهما الاخصابية، أما البقرة فقد ألهمت عنايتها الفائقة بوليدها وحنوها عليه مفهوم تقديسها كمركز للأمومة...وهكذا.[٩٤]

ولقد استمرت عبادة الحيوانات زمناً طويلاً حتى ولو اتصفت بالبروز آنا والانكماش آنا آخر، وفي عهود الانحطاط نفسها لم تمل إلى الهبوط، بل بعثت حيويتها بكل قوة، وكثيرًا ما يشير الكتبة الإغريق واللاتين،،، بدهشة واشمئزاز، إلى الإكرام الذي يحاط به هذا أو ذاك من الحيوانات، وعقوبة الموت أو الجزاء النقدي التى تُفرض على من يخالف القانون ويستحل قتله، والاحترام يؤدي إلى ممثل الفصيلة الحيوانية المعتنى به في أحد المعابد وإلى جميع حيوانات هذه الفصيلة بعد الموت.[٩٥]

([٩٣]) د. سمير أديب :المرجع السابق، صـ٦١٠

([٩٤]) ياروسلاف تشرني: الديانة المصرية القديمة ص ص ٢١،٢٢.

([٩٥]) أندريه ايمار، جانين أوبوايه: تاريخ العالم، م١" الشرق واليونان القديمة"، صـ٨٧.

ولقد لجأ المصريون التماسًا للبركة إلى تحنيط الحيوانات المقدسة ووضعها في منازلهم، فكان الشخص يسلم إلى المحنط جثة قط أو تمساح ويطلب منه تحنيطه لكي يحتفظ به في منزله أو مقبرته، وكان يعطي المحنط اجرًا على ذلك.[٩٦]

يرجع تاريخ معظم مومياوات الحيوانات التي لا تحصى إلى الحقبة المتاخرة، وكانوا يرتبونها بحسب السلالات أو كيفما اتفق، في القبور أو الجبانات الواسعة، وأحيانا في قوالب من البرونز تصنع على صورها، وكان الإعتناء بالأرض المخصصة لدفن الحيوانات من كل نوع، المقدسة، والمدللة، والمشردة، واجبًا يفخر به كل مصري، فيقول:

"اعطيت خبزًا للجائع، وماء للظمآن، وثيابًا لمن ليس لديه ثياب، واعتنيت بأبي قردان والقطط والكلاب المقدسة، ودفنتها تبعًا لما تقضي به الطقوس الدينية، فدهنتها بالزيت ولففتها في أكفان من الكتان المنسوج".[٩٧]

❖ الطقوس الجنائزية:

لقد اهتم المصريون اهتمامًا كبيرًا بعملية حفظ الجسد كي تستطيع النفس التى انفصلت عنه عند الموت أن تستقر فيه، وامعانًا في الحرص على ذلك، توضع في المدفن تماثيل يستعاض بها عن الجسد، ويبدو أن

---

(٩٦) سيروم فلندرز بتري: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ، صـ٧٦.

(٩٧) د. سمير أديب : المرجع السابق، صـ٤٠٣

الجسد نفسه أفضل من كل هذه التماثيل، وبما أنه قابل للانحلال وجب تحويله إلى مومياء وفاقًا لطريقة فنية عولجت بها جثة اوزريس لأول مرة: وتتم بانتزاع الاحشاء ووضعها في أربعة آنية من الالبستر، فصل أعضاء الجثة على مثال اوزريس وغمرها في محلول من الأملاح المعدنية،حشو الجثة بمواد عطرية وإعادة شكلها بواسطة كتل من النسيل والقش وتقميطها بعصيبات كثيرة من الكتان، ويقوم بهذه الأعمال كلها مهنيون يعتبرون كهنة من درجة دنيا، وهكذا تغلبت ألوف المومياات على الزمن، بفضل مناخ مصر الواقي، بعد جفافها، ومنا ما يرتقي عهده إلى الأمبراطورية القديمة، على الرغم من أن طريقة التحنيط هذه قد استمرت، بعد ذلك، أكثر من ألف وخمسمائة سنه في طريق التقدم والاكتمال.

ثم تأتي الجنائز مع موكب الأقارب وتماثيل الآلهة والنائحات: الإبحار على النيل – على غرار اوزريس–، الصعود البطئ نحو المقبرة عبر الأسوار الصخرية الغربية، وضع الناووس في مدفن مصمم كمسكن للميت، ويقوم أخيرًا كاهن يمثل هوروس بأعمال سحرية، أهمها " فتح الفم والعنين"، الغاية منها اعادة الوظائف الحيوية للميت بصورة نهائية، ثم يوصد المدفن وتشهر لعنات هائلة على كل من تسول له نفسه اقلاق راحته.[٩٨] فرعاية المتوفي مقصورة على تحنيط جثته ودفنها مع ما يلزمها من ضروريات الحياة المادية، وإنما يجب أن يتلى عليها ما يجب تلاوته من تراتيل السحر والدين، عند الوفاة و عند الغسل والتطهير وعند الدفن، وعند تقديم القرابين وعند اجراء الصلوات في مقاصير المقابر وهياكل المعابد، وأوسع المصادر الدينية حظاً فيما تتضمنه من هذه التراتيل، و أوسعها تعبدا عن عقائد ما بعد الموت

([٩٨]) أندريه ايمار، جانين أوبوايه: المرجع السابق، ص ص١٠٧–١٠٨

وتطورها من عصر إلى عصر إنما هي :متون الأهرامات والتوابيت وكتاب الموتى، فأما متون الأهرامات، كانت تختلف من هرم إلى آخر، بل إن الكهنة الذين اشرفوا على اختيارها لكل ملك، إنما كانوا يختارون البعض ويتركون البعض الآخر، ولقد كان الهدف منها ضمان سعادة الملك في العالم الآخر، حيث تفتح له أبواب السماء التي حرمت على غيره من الناس،فضلا عن تحوله إلى نجم من النجوم التى لا تفنى، وإلى إله الشمس، أو على الأقل يكون في ركاب إله الشمس.[٩٩]

هكذا دأب المصريون على الاهتمام الشديد بالاحتفال بدفن الموتى، إذ اعتقدوا أن سعادة الشخص الميت في المستقبل تتوقف على هذا الاحتفال، وعلى المعتقدات المرتبطة بالطقوس كان الميت يدفن دائما ولا تحرق جثته ابدا، كما تؤدى الطقوس الخاصة بفتح الفم لجسد للميت أو لتمثال المتوفي، وتشمل هذه الطقوس علي ممارسات التطهر والقربان، لكن أهم جوانب هذا الاحتفال هو لمس الفم بقدوم صغيرة، فبهذه الطريقة كانوا يعتقدون تجدد الحياة لجميع قدرات الجسد، كان الكاهن يقوم بفتح فم الجثة حتى يستطيع الميت أن يأكل ويتكلم من جديد، كما فعل أبناء حورس الأربعة الذين فتحوا فم اوزوريس بعد وفاته باصابعهم من النحاسية ليتمكن من أن يأكل ويتحدث ثانية.[١٠٠]

لقد آمن المصريون في العصور التاريخية بفكرة البعث والخلود، رغم أنه لا يوجد كلمة تعبر عن معنى الخلود في لغتهم، فكلمة الحياة نفسها

([٩٩]) د. سمير أديب : موسوعة الحضارة المصرية القديمة، صـ٦٠٣

([١٠٠]) جعفر بارندر : المعتقدات الدينية لدى الشعوب، صـ٤٤

تستخد للتعبير عن الحياة سواء على الأرض أو بعد الموت، إلا أن الدليل على وجود مثل هذا الاعتقاد في البعث والخلود يتمثل في العثور على أدلة أثرية، مثل احتواء المقابر على الطعام والشراب والأدوات الأخرى التى لا يُفسر وجودها إلا في ضوء إفتراض إيمان المصري القديم بحياة تمتد تحت ظروف شبيهة للغاية بتلك التى انصرمت على الأرض، ولعل حالة الحفظ التى ظلت عليها أجساد الموتى فترة طويلة بعد الموت والتى تعزى إلى المناخ الجاف هى التى أسهمت إلى حد كبير في أصل فكرة البعث واستمرارية الحياة بعد الموت.[١٠١]

ولقد تطلب تلك الفكرة القيام بطقوس تؤمّن الشروط المادية والضرورية للحياة الثانية التى لا يمكن تغيرها، على نقيض الشروط الأخلاقية.[١٠٢]

❖ طبقة الكهنة :

من المعروف أن العبادات في مصر كانت تقام في أي معبد باسم الملك الذي كان مسؤولاً عن اقامة العبادات فضلًا عن دوره السياسي والإداري والتشريعي، لذا فقد كانت واجبات الملك الدينية كثيرة، يبني المعابد، يقدم لها الهدايا وهو الذي يمنح القرابين، وهو الذي تمثله جميع صور المعبد، وهو الذي كانت تقام له الصلوات في المعبد، فعلاقة الملك بالآلهة تختلف تماماً عن علاقة الآلهة بأي فرد من الرعية، وصفة ملكاً إنما كان ابنا

---

(١٠١) ياروسلاف تشرني: الديانة المصرية القديمة، صـ١٠٦.

(١٠٢) أندريه ايمار، جانين أوبوايه: تاريخ العالم، م١" الشرق واليونان القديمة"، صـ١٠٧

وخليفة للآلهة يقدم لها القرابين كاسلافه كما كان يقدم أي فرد عادي القرابين لأرواح أجداده ومن ثم فهو الكائن الأول لكل إله في البلاد، وبالتالي فقد كان عليه أن يقوم بالطقوس الواجب نحو الالهة، وبديهي أن هذا كان أمر محالا زمانًا ومكانًا، ومن ثم فقد كان الملك ينيب عنه أولاده أو كبار موظفيه في الأقاليم، على أن يقوم هو باداء واجبه الديني نحو إله العاصمة، أو الإله المحلي في المكان الذي يقيم فيه، هكذا كان يعين الملك الكهنة، الذين يختارون عادة من اسمي درجات المجتمع بل من الدم الملكي أحياناً، وكانوا يؤدون الطقوس الدينية اليومية في كل البلاد باسم الملك الفرعون.[١٠٣]

أما الدور الرئيسي في الطقوس الجنائزيه يؤديه الكاهن الذي يجسد انوبيس، وكان الكهنة بصفة عامة يعينهم الملك في البداية، لكن في الدولة حديثة وما بعدها تطور طبقة الكهنة، وأصبحت الوظائف الهامة وراثية وهؤلاء الكهنة المحترفين كانوا يسمون خدام الآلهة، ومن الطبيعي أن تكون هناك أنواع متعددة من التقسيمات الفرعية للكهنة، تبعًا للوظيفة التي يشغلونها، ولم تكن إدارة الأملاك الفخمة التي تملكها المعابد أقل المهام المخصصة لهم.[١٠٤]

أما النساء فقد تطوعن لخدمة المعابد كراهبات، مؤدين واجبهن الديني في إعداد الموسيقى والرقص في أعياد مخصوصة أمام الآلهة، وهكذا كانت خدمة الآلهة مباحة للجميع.[١٠٥] ولقد اتحدن مع الآلهة "حتحور" التي ارتبط

([١٠٣]) د. سمير أديب : المرجع السابق، صـ٦٨٧

([١٠٤]) جعفر بارندر: المرجع السابق، صـ٤٥

([١٠٥]) جيمس هنري برست: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، صـ٤١.

اسمها أساساً بالحب الجنسي والموسيقى، ومنذ الأسرة الثانية والعشرين وما بعدها كانت هذه الكاهنات من الناحية العملية حكام المدينة الدينية.[١٠٦] ولما كان المعبد في اعتبار القوم مأوى المعبود فقد لقب الكهنة بـ" خدم الإله".[١٠٧]

لقد اشترط المصريون على أن تتوافر في من يسمح لهم بدخول المعبد والإقامة في رحاب الصنم الرهيب شروطاً من الطهارة البدنية، ومن هنا كان الاصطلاح الذي يطلق على أكثر طوائف الكهنة، انتشاراً "الكهنة المتطهرون"، وطبقاً لرواية "هيرردوت" الملحقة بالمعابد فقد كان الكهنة قبل بدء خدمتهم ينزلون إلى الماء فيريقونه على أنفسهم بغزارة فإذا لم تكن هناك بركة حل محلها حوض من الحجر، وهناك ضرب آخر من الطهاره المادية، إذ كان على الكاهن أن يغسل فمه بقليل من "مذاب النطرون" قبل أن يطرق المكان المقدس، كما كان عليه كذلك أن يزيل الشعر من جسده، و يذهب "هيردوت" إلى أن الكهنة كانوا يحلقون أجسامهم بأكملها حتى لا يتولد بها الحشرات اثناء قيامهم بخدمة الآلهة، كما كانوا يمارسون الختان حبًا في النظافة، لأنهم كانوا يفضلون النظافة على حسن المنظر.[١٠٨]

❖ الحياة بعد الموت:

لقد كان التوحد مع اوزوريس هو الأمل الرئيسي في الخلود، ومنذ الدولة الوسطى وما بعدها أصبح هذا التوحد ميزة حصل عليها كل من مارس الطقوس الدينية المناسبة، ومنذ العهد الروماني أصبح التوحد مع

---

[١٠٦] جعفر بارندر: المرجع السابق، صـ٤٥

[١٠٧] جيمس هنري برست: المرجع السابق، صـ٤١

[١٠٨] د. سمير أديب : موسوعة الحضارة المصرية القديمة،صـ ٦٨٧

اوزوريس يعبر عنه بتصوير المتوفي في بعض الأحيان وهو يحمل صفات من اوزوريس، ولقد أصبح عرفًا سائدًا، لمدة طويلة أن يوضع اسم اوزوريس قبل اسم المتوفي، وإذا كان تجدد الحياة النباتية، قد أصبح رمزاً لتجدد الحياة، فقد قام اعتقاد مماثل على أساس فكرة تجدد الحياة في السماء، على اعتبار أن الشمس بعد غروبها يمكن أن تشرق من جديد، وفضلًا عن ذلك فان التجلي الخارجي للروح(با *Ba*) (تصور المصريون الروح وكانوا يسمونها "با *Ba*" في مختلف الأشكال ولما كانت قادرة على أن تترك الجسد وتنفلت منه عند الموت فقد تخيلوها عادة كأنها طائر)، كان يتضمن إمكان تحويلها إلى أشكال كثيرة، بحيث تستطيع أن تغادر قبرها وقتما شاءت .[١٠٩]

هكذا يشير الشكل الذي اسقطته مخيلة الإنسان البدائي على الجزء فوق الطبيعي والثابت من الإنسان أى الروح إلى عين الاتجاهات الفكرية، فالروح تغادر الجسد لحظة الموت ثم تطير بعيدًا في صورة طائرة.[١١٠] ولعل هذا ما جعلهم يحيطون جثث الموتى بعناية فائقة فدفنوها وفقًا لمراسم، ووضعوا على مقربة منها في المدفن الأدوات البيتية أو الصور والنصوص الرمزية، وهي عادات وأعراف تدل على استمرار شمول الإيمان بحياة ثانية، وعلى أثر ذلك الإيمان العميق في الحضارة المصرية خلال مراحل تاريخها الطويل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على التفاؤل الذي يعد ميزة هامة من مميزات السيكولوجية المصرية.[١١١]

([١٠٩]) جعفر بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، صـ٤٦

([١١٠]) ياروسلاف تشرني: الديانة المصرية القديمة، ص ص١٠٨-١٠٩

([١١١]) أندريه ايمار، جانين أوبوايه: تاريخ العالم، م١" الشرق واليونان القديمة"، صـ٩٩

لقد كانت قوة الإيمان بالحياة بعد الموت هي التي دعمت الديانة المصرية وجعلتها تبقى قائمة في إحدى صورها المتأخرة حتى القرن السادس الميلادي وإن كان الاحتكاك بالثقافات الغازية قد صور وغير جانباً من مضمونها وصورتها، وهكذا فسرت ديانة ايزيس واوزوريس كما صورها المؤرخ اليوناني بلوتارك الثاني تفسيراً حرًا بمعاونة الفلسفتين الأفلاطونية والرواقية، لكن من حسن الطالع أن البقايا الأثرية العديدة والكمية الضخمة من الكتابات الأصلية تسمح لنا بأن نقدر التراث المبكر حق قدره في صورته الأصلية التي لم تشبها شائبة.[١١٢]

(١١٢) جعفر بارندر: المرجع السابق، صـ٤٦

الفصل الرابع

إخناتون " عقيدة التوحيد"

إخناتون " عقيدة التوحيد"

❖ حياته:

إخناتون هو أحد الملوك العظام في الأسرة الثامنة عشرة التي بدات حكمها مؤسسة للدولة الحديثة التي يؤرخ لبدايتها بعام ١٥٧٥ ق.م، واستمرت حتى عام ٩٤٥ ق.م الذي شهد نهاية عصر الأسرة الحادية والعشرين، ولقد استعادت الملكية هيبتها في عصر الأسرة الثامنة عشرة بشخصيات فراعنتها وجهودهم مع شعبهم في توطيد استقلال دولتهم وتنمية مواردها واتساع حدودها وفرض سيادتها الكاملة على كل أجزائها.[١١٣]

فلقد كان سليلًا لأسرة أحمس الأول مؤسس الدولة الحديثة، تلك الأسرة التي حكمت مصر أكثر من قرنين ونصف من الزمان، تعاقب على الحكم خلالها اثنا عشر فرعونًا، كان أهمهم بلا شك أحمس الأول الذي أكمل تطهير البلاد تمامًا من الهكسوس واستعاد علاقات مصر بالشام وكريت وبلاد النوبة، وسار على نهجه ابنه أمنحوتب الأول، وكذلك تحتمس الأول وتحتمس الثاني وحتشبسوت، أما أعظمهم فكان تحتمس الثالث أعظم رجال الحرب من ملوك مصر وكان انفراده بالعرش في عام ١٤٦٨ ، وقد قاد هذا القائد العسكري الفذ العديد من المعارك وانتصر فيها جميعًا بفضل حبه لجيشه وقوة منطقه مع قواده ومشاورتهم في كل خططه الحربية، وبفضل شجاعته النادرة حيث كان يتصدر الصفوف في مواجهة الأعداء، وكان من

---

(١١٣) د.مصطفي النشار: فلاسفة ايقظوا العالم، دار الثقافة، القاهرة ، ١٩٨٨م، صـ ٢٢.

نتيجة ذلك كله أن تسلم أمنحوتب الثالث والد أخناتون حكم مصر وهي تعيش أزهى عصورها وتنعم بخيراتها، ولكنها في عهده ركنت إلى النعيم والاستمتاع بما أحدثه السابقون، فقد هادنه ملوك الشرق وامراؤه وكثيرا ما أرسلوا اليه الهدايا من الأرقاء والخيول والمركبات والجوارى والأحجار الكريمة مقابل أن يفيض عليهم بعطائه من الذهب، وأكثر هو من الزيحات ومصاهرة كل الملوك والشعوب لتزداد بينه وبينهم عرى المودة والصداقة ومع ذلك فلم يشأ أن يزوج أمراء من هؤلاء من أميرات مصر وفتياتها رغم الحاحهم، فقد كتب لملك بابل ردًا على هذا الالحاح «**لم يسبق أن أرسلت أميرة مصرية إلى أي انسان**»، وسط هذه الحياة الكريمة المترفة التي شهدت فيها مصر أوج عزتها وكرامتها وسيادتها ولد وتربي أمنحوتب الرابع (إخناتون).[١١٤]

ولد وإخناتون، وكان قد مر على زواج الملكة " تى " من امنحوتب الثالث سنون طوال وتربي وشب عن طوقه في بلاط صاخب كله مجون وعبث، وكان أبوه قد بدا كاهله ينوء تحت أعباء حياة الترف التي عاشها، فلم يلبث أن انهكته الشهوات ودبت الكهولة في أعضائه في سن مبكرة، ولم تسعفه الرقي والتمائم، ولم يشفه الطب المصري الذي ذاع صيته في أرجاء العالم القديم، بل ولم تستطع الإلة« عشتارت »، التي أرسلها إليه صهره أن تصلح ما أفسدته حياة المجون التي عاشها من قبل، ولعل اللوحة التي عثر عليها في تل العمارنة والتي ظهر عليها « امنحوتب الثالث » جالسًا بجوار

([١١٤]) نفس المرجع: ص ص ٢٣، ٢٤

زوجته « تي » وقد بدت عليه علامات الكهولة بشكل واضح، فأتت جلسته متراخية، وارتسمت على ملامحه علامات الرخاء المنهك المكدود، إنها ولاشك صورة لرجل قد أخذ المرض يفتك بجسمه بعد أن تجرع اللذة في نهم وإسراف.[١١٥]

ولقد شهدت الدولة في ختام حكمه بعض مظاهر الضعف، التي بدت في استخفاف البعض ومنهم حكام كنعان بالجنود المصريين، فكانوا يواجهونهم بالأسلحة وفي نفس الوقت يرسلون الرسائل إلى الملك يعبرون فيها، عن حبهم وولائهم، وكان الملك كثيرًا ما يركن إلى هذه الرسائل ويصدقها لما حوته من نفاق ومداهنة ولم يحس بخطورة ما يمكن أن تسفر عنه هذه المناوشات التي اسفرت في مطلع حكم إخناتون عن استيلاء هؤلاء على بعض المدن ومع ذلك ظلوا على نفاقهم له، وبلغ من صفاقة أن يستولى على بعض المدن ويخربها ويكتب إلى الملك بأنه إنما استولى عليها ليحميها من الحيثيين، وخربها حتى لا يستفيدوا منها وأنه إنما يتطلع إلى رؤية وجه مولاه البهى.[١١٦]

رزقت الملكة "تي"، من زوجها «أمنحوتب الثالث » ولدين أحدها وهو البكر اسمه " تحوتمس"، وقد مات في سن مبكرة وأبوه لا يزال على قيد الحياة متوليًا العرش، وثانيهما واسمه « أمنحوتب »، وهو الرابع من تسموا بهذا الاسم في عصر الأسرة الثانية عشرة وهو أيضا الذي عرف في التاريخ باسم إخناتون.[١١٧]

([١١٥]) د. عبد المنعم أبو بكر: إخناتون ، ١٩٦١ م ، دار القاهرة ، ص ص ٣٦ –٣٧

([١١٦]) د.مصطفي النشار : فلاسفة ايقظوا العالم ، ص ص ٢٣ ٢٤

([١١٧]) د. عبد المنعم أبو بكر: المرجع السابق ، صـ ٣٦

ولد إخناتون طفلا هزيلًا، ضعيفًا تراكمت عليه الأمراض ولازمته طوال حياته، يدل على ذلك تركيب جسمه الغريب، فوجهه كان نحيفة إلى درجة الهزال، طويلًا برزت عظامه وتدلت ذقنه، واتسعت مقلتا عينيه، وارتسمت على شفتيه الغليظتين ابتسامة خفيفة إن دلت على شيء فهي تدل على طبية قلب وحب للسلام، وحمل رأسه الكبير عنق طويل فوق كتفين ضيقين منحدرين، وتميز جسمه ببطن كبيرة متهدلة لا تتناسب مطلقًا معه، أما الساقان فكانتا رفيعتين بشكل ملحوظ.(١١٨)

ولقد كان إخناتون مع كل هذا الضعف في الصفات المادية يلقب بالمنشق العظيم *The great schismatic* تارة وبالمجرم العظيم تارة أخرى *The great Criminer*، أما عن لقبه " بالمنشق العظيم"، ذلك لأنه كان أول من أنشق على التقليد الذي كان سائدًا في مصر القديمة، أما عن لقبه بالمجرم العظيم فلعل ذلك يعود لهجومه على عقيدة آمون، واعتبار أن تلك العقيدة رجس، ومحاولته القضاء عليها.(١١٩)

يبدو أن « أمنحوتب الرابع » (إخناتون) نشأ في « ارمنت » القريبة من طيبة (وهي التي عرفت باسم هيلو بوليس مصر العليا) وقام على تعليمه فيها كهنة من أتباع مدرسة لاهوت هيليوبولس وتعمق في دين « رع »، ونحن لا نعرف إذا كان سنه الصغير سمح بإيفاده إلى « منف » لتكميل تعليمه والقيام بالتدريبات العسكرية طبقًا للتقاليد الرسمية المتبعة في البلاط

---

(١١٨) نفس المرجع: ص ص ٣٧، ٣٨

(١١٩) د.حربي عباس : الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية ، ص ص ٢٤ –٢٥

المصري منذ أول الأسرة الثامنة عشرة، أم لا، ونقول سنه الصغير لأننا نعلم أنه حكم ست سنوات بالاشتراك مع والده، وما يقرب من ثلاثة عشر عامًا بمفرده، وهناك من يجزم بأنه مات غير متجاوز الثلاثين من عمره، ومعنى هذا أنه أخذ يتحمل أعباء الحكم وهو في سن لا تزيد عن الاثنتي عشرة سنة.(١٢٠)

فلقد كان إخناتون على الرغم من ضعف صفاته المادية، شديد الذكاء، مرهف الحس، فيلسوفًا سديد الرأى، ذا عقل راجح ونفس صافية، يمقت الكذب وينشد الصدق في كل شيء، فقد كان يميل إلى معرفة الحقيقة في أدق مظاهرها إلى درجة أنه أبرز هذا المعنى الجليل فما سماه المصريون « ماعث » وقصدوا بهذا التعبير « الحقيقة، الصدق، العدالة»، وكان إخناتون يؤكد أنه يعيش على «الماعث » كطعام له، وأن إلهه كان قانعًا بتقديم « ماعث» كقربان له، بل جعل اسمه « العائش على الماعث » وسمي عاصمته الجديدة «مقر الماعث».(١٢١)

حتى أصبح ذكر أخناتون يمثل ثورة شاملة في كافة الميادين، فقد كان يدعو إلى تحقيق أسمى ما يمكن أن يتصوره بشر من عبادة إله واحد، دولة عالمية واحدة، قانون عالمي واحد يخضع له كل البشر.(١٢٢)

إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه:

---

(١٢٠) د. عبد المنعم أبو بكر: المرجع السابق ، ص ٥٧:٥٩

(١٢١) نفس المرجع: ص ص ٣٧، ٣٨

(١٢٢) د.مصطفي النشار : مدخل لقراءة الفكر الفلسفي ، صـ٣٩

فكيف تمكن صبي في مثل هذا السن المبكر أن يتحمل أعباء ثورة عاتية، يقف فيها بمفرده أمام أكبر قوة عرفتها مصر وهي قوة كهان آمون ؟

فليس من شك في أن إخناتون لم يقف بمفرده في ميدان المعركة وبخاصة في السنين الأولى من حكمه، بل لقد كانت أصابع أمه الملكة « تى » تتولى توجيهه نحو الطريق الذي اختارته له، ولينفذ لها تلك السياسة التي تهدف إلى إيجاد موازنة بين سلطان الملك وقوة وجبروت كهان « آمون » النهمين الذين لا يقنعون بشيء ولا يفتأون يطالبون بالمزيد، خاصة وأن الملك الذي اختارته الظروف لهم كان مريضًا ضعيفًا، اعتقدوا أنه لن يستطيع الثبات أمام مطالبهم التي لا نهاية لها، وكانت « تي » سيدة ذكية صقلتها الأحداث، استطاعت بدهائها أن تظل حتى آخر أيام حكم زوجها صاحبة اليد العليا، ليس في مصر فحسب، بل في توجيه سياسة الإمبراطورية كلها، حتى بات ذلك الأمر معروفًا عند الأمراء والحاكمين في أقاليم الشرق، فكانوا يقدرونها ويبعثون إليها برسائل الود، ولقد وصل إلينا من وثائق عصرها ما يبرز بوضوح مبلغ نجاحها في هذه الناحية.[١٢٣]

تزوج إخناتون من الملكة " نفرتيتي" والتى فازت –حالها في ذلك حال حماتها الملكة تى – بمركز ممتاز، وعندما انتقلت الأسرة المالكة إلى تل العمارنة، كانت تتكون من الزوجين وابنة واحدة فقط وهي « مريت – آتون»، وبعد ذلك بعام ولدت الأميرة الثانية « ماكت – آتون » ثم ولدت

(١٢٣) د.عبد المنعم أبو بكر: إخناتون ، ص ٥٧:٥٩

الأميرة الثالثة «عنخ إس إن با آتون »، وتوالت بعد ذلك ثلاث بنات أخريات حتى بلغ عدد ذريته ستاً، ولم يتم الهناء لهذه الزيجة السعيدة بإنجاب ابن يرقى العرش، وقد كانت حياة إخناتون ونفرتيتي وأطفالها في تل العمارنة هادئة تمر سنونها في التعبد لآتون والتنزه في حديقة القصر، وامتلأت المناظر التي سجلها عظماء هذه الفترة ورجالات الدولة الذين هاجروا مع الملك إلى العاصمة الجديدة، فوق جدران مقابرهم، بأخبار الأسرة المالكة، فتجدهم تارة يرسمون الموكب الخاص بزيارة الملك والملكة وبناتها الصغيرات المعبد آتون، وقد امتطى كل فرد منهم عربة خفيفة يجرها زوج من الخيول، وتارة أخرى يمثلون الاحتفالات الخاصة بإهداء الأوسمة والهدايا المختلفة إلى أصحاب النفوذ من رجالات البلاط ويكون هذا بأن يقف الملك وحوله أفراد أسرته في شرفة قصره، وتتميز هذه المناظر بتخلصها من القيود القديمة التي هيمنت على الفن المصري من ناحية وعلى القيم الاجتماعية من ناحية أخرى، إذ كثيرًا ما سمح الملك برسمه وزوجته في مواقف تسودها الصراحة التامة، وكثيرًا ما نرى الملك وهو يداعب إحدى بناته وهي تجلس فوق ركبتيه.[١٢٤]

❖ **ديانة إخناتون:**

لقد اختلفت الآراء في ديانة إخناتون، وهل كانت وليدة تنافس سياسي بين إخناتون كملك على العرش وبين سلطان كهنة آمون وثرائهم العجيب، أم كانت فتنة حتمتها ظروف الإمبراطورية المصرية التي جعلت الثروة تنحصر

(١٢٤) نفس المرجع: ص ٨٦ : ٨٨

في فئة قليلة من الناس، فقام النزاع المرير بين العمال وبين هؤلاء الأغنياء المتملكين لثروة البلاد، أم أنها كانت ثورة قامت بين كبار الموظفين المدنيين وكبار رجال الجيش، وفي آخر الأمر يأتي من يؤكد بأن ديانة وإخناتون، لم تكن وليدة تفكيره ووحى فلسفته بل هي مأخوذة من التوراة، زعمًا منهم بأن بداية ظهورها قبيل عصره واستنادًا إلى التشابه بين بعض فقرات أنشودة آتون وبين الفقرات من٢٠ إلى٣٠ من المزمور رقم ١٠٤ من العهد القديم، إلا أن قولهم هذا يفتقر إلى قوانين تاريخية، فهناك رأى سائد يؤكد بأن إخناتون عاش في عصر سابق لعصر ظهور المزامير، وإن مقارنة بسيطة بين نشيد إخناتون والمزمور رقم ١٠٤ لتدل على أن النشيد هو أصل المزمور.[١٢٥]

فلقد حكم إخناتون مصر وهي في قمة عزها وأوج مجدها وقد ورث ملكًا عريضًا، ولكنه انصرف عنه إلى التفكير في الكون وموجده، واهتدي إلي أن هنالك الهًا واحدًا يسيطر على هذا الكون، وإنه خالق كل شيء! وتتمثل قوته أكثر ما تتمثل في" الشمس" أقوى الكائنات في اعتقاده، لذلك أتخذ قرصها رمزًا لإلهه الواحد القهار وسماه "آتون"، والقي عبادة جميع الأربابه والآلهة التي كان يعبدها المصريون القدماء وغيرهم من الأمم الأخرى، وعلى رأسهم الإله " آمون رع" أقوى تلك المعبودات.[١٢٦] فلم يكد الملك الصبي يجلس على العرش حتى نراه يطالب بتقديم مظاهر التقديس على نطاق أوسع لـ"رع" إله هيليوبوليس القديم واحتفظ بهيئة الإله كآدمي ذى

([١٢٥]) نفس المرجع: ص٤٠-٤١

([١٢٦]) سيرو.م فلندرز بتري : الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، ص ص ١٥٩،١٦٠

رأس الصقر يعلوه قرص الشمس، إلا أن اسم « آتون » أخذ يظهر ليس كعنصر جديد أوجده الملك، بل على أساس أنه الاسم الذي أُطلق على قرص الشمس منذ عصر الدولة القديمة، إذ كان هذا هو الاسم الفلكي للشمس كجرم في السماء دون أن يرتبط بأية صفة من صفات الآلهة، ومن الواضح أن هدف الملك كان يتجه نحو البدء في محو الصورة القديمة للإله رع، وتخليص إله منها وتغليب المظهر الروحي له.[١٢٧]

ولقد كشف عن ذلك بوضوح حينما غير اسمه الملكي من أمنحوتب "أى آمون راضى" إلى إخناتون" أي المفيد لآتون" ابتعادًا عن مظلة عقيدة آمون وتقربًا إلى آتون، كما أصدر قرارًا بالشروع في بناًء معبد ضخم للرب آتون في الكرنك ويقع هذا المعبد شرق معبد آمون، وأمر بإقامة شاهد حجري ليخلد هذه المناسبة، وقد وصف الإله بإنه وآتون الحي، العظيم، سيد السماء والأرض".[١٢٨]

هكذا نكاد نحس تمامًا أن الإتجاه في الفترة الأولى من حكم إخناتون كان ينحصر في الإعتراف بالإله "رع بجانب آمون"، على أساس الصورة الجديدة له تحت اسم "آتون"، وأن يدخل هذا الإله، حاله في ذلك حال كثير من الألهة، في معبد الكرنك ويعبد فيه بجانب آمون، وقد ورضي كهنة آمون عن ذلك وسمحوا للملك أن يبني معبدًا كبيرًا لآتون في حرم الكرنك، ولعلهم وجدوا في إصرار الملك وصدق عزيمة والدته" تى" على تنفيذ هذه السياسة

---

(١٢٧) د.عبد المنعم أبو بكر:المرجع السابق ، ص ص ٧٣،٧٤

(١٢٨) د.مصطفي النشار : فلاسفة ايقظوا العالم ، صـ٢٦

ما جعلهم يحنون رؤوسهم قليلًا، مفسرين تراجعهم على أساس أن إلههم الأكبر في الواقع هو" آمون رع"، كما أدركوا أيضًا أن مذهبهم راسخ في قلوب الناس وبخاصة أهل الصعيد، كما أن الههم قد ذاع أمره في كل مكان داخل مصر وخارجها، وأن الناس أجمعين يؤمنون بأن لاقوة غير قوة آمون، ولا عز ولا انتصار إلا حول ساحته وعند أقدام عرشه، وهكذا ولأول مرة سُمح لآتون بأن يأخذ مكانه رسميًا بين الآلهة المصرية وأن يُعترف به من أصحاب آمون.[١٢٩]

هكذا ارتفع قرص الشمس في عهد الملك إخناتون إلى أن يكون الإله الأوحد، وكان يمثل في أول الأمر برأس صقر ثم كقرص شمس بأشعة تنتهي بيد آدمية تمسك غالبًا علامة الحياة، ومن ألقابه " الحرارة المنبثقة من قرص الشمس، رب الأفقين الذي يتلالا في افقه باسمه".[١٣٠]

إلا أنه ما كاد الملك يتم العام السادس من حكمه حتى جهر بعقيدته، وعزف كليًا عن تجسيد إله الشمس برسمه في هيئة طائر أو حيوان أو إنسان له رأس صقر يحمل فوق رأسه قرص الشمس كما كان متبعًا من قبل، فلقد عمد إخناتون إلى تصوير الإله الجديد في صورة تجريدية عبارة عن حفر غائر لشعاع الشمس، قرص يكتنفه رمز الأفعي المقدسة في تاج ملوك مصر الأقدمين وتتدلى من عنقه علامة الحياة ويخرج منها عديد من أشعة الشمس تنتهي بايدى بشرية.[١٣١] وقد كان رمزًا قديمًا جديدًا في آن واحد،

([١٢٩]) د.عبد المنعم أبو بكر: إخناتون ، ص ص ٧٨،٧٥

([١٣٠]) د.حربي عباس : الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية ، صـ٢٦.

([١٣١]) د مصطفي الشار : فلاسفة ايقظوا العالم ، دار الثقافة ، القاهرة،١٩٨٨م، ص ص ٢٦-٢٧

قديمًا في هيئة قرص الشمس، جديدًا بهيئة الأيدي التي بدأ تصويرها منذ عهد الملك تحوتمس الرابع، ويبدو أن الفنانين لم يروا في تصوير أكف الإله المبسوطة انتقاصًا من روحانيته، واعتبروا تصويرها نوعًا من التعبير الفني يغنى عن الوصف والكتابة.(١٣٢)

ولقد بلغ من تمسك إخناتون بدينه الجديد وإيمانه به، والتعصب له أنه محا أسماء آلهة المصريين جميعهم وأمون بخاصة المنقوشة على آثار الملوك الذين جاءو قبله، من معابد وقصور! وكان يمحو كلمة آلهة من النصوص لأنه في أعتقده وملته- لا يوجد ألا إله واحد.(١٣٣) فلقد رأى اخناتون الحق في أن يصور إلهًا واحدًا أعظم تطل سماؤه حانية من فوق جسم الأرض، إنه الإله الحي مبدع الحياة خالق كل شيء، مسير الأشياء حسبة مشيئته، رابط جميع الأقطار والأمم برباط محبته.(١٣٤)

لذا فلا يجب علينا أن نتسرع فنتصور مما مر أن ما يقوله اخناتون ليس جديدًا على ماعرف من قبله عن عبادة الإله آمون رع، إذ تبدو أصالة التصور الإخناتوني في أننا لم نعد نرى أي تجسيد مادى للإله، فهو لم يعد يذكر في أي مكان شيئا عن سفينة الإله أو عن التمثيلات المتصلة برحلته عبر السموات والأرض، بل لم يذكر، كذلك في أي مكان تستوى الشمس ليلًا بالضبط، فهي ربما تكون في العالم السفلى، لكن ليس هنالك اشارة صريحة

---

(١٣٢) د.عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول " مصر والعراق "، ص ص٤٨٤-٤٨٥

(١٣٣) سيرو.م فلندرز بتري : الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، ص ص ١٥٩.١٦٠

(١٣٤) د . مصطفي النشار : الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، ج ١ ، صـ ٣٨.

للعالم الآخر، كما أن الأصالة تبدو أيضًا في الصورة التي تغيرت إليها عبادة الإله، فقد أصبح أسلوبًا جديدًا لا قبل للمصريين به من قبل ولا من بعد حتى ظهور الأديان السماوية، وتتمثل اصالته في ناحيتين:

الأولى : أنه كان لزامًا على المتعبد لآتون المخلص لعقيدته أن ينبذ الأرباب الأخرى ويتبرا منها باعتبارها شركًا بالإله الحق الواحد الأحد، وأن يكرس المؤمن بآتون ولاءه له وحده دون غيره.

والثانية : أن عبادة أتون لم تكن مجرد عبادة الشمس كما كان الأمر من قبل، حيث كان القصد هنا هو عبادة خواص الشمس التي تهب الحياة، فكلمة «آتون» نفسها تعني «الحرارة الكامنة في الشمس». [١٣٥]

وبالطبع فإن هذا الإعتقاد بواحدية الإله وبصورته المجردة التي لم يقلل منها رمزه له بقرص الشمس– إذ أن هذا مجرد رمز لا يشير إلى أي معني من معاني التجسيد المادي للإله– لم يأت مصادفة بل بعد تفكير وتأمل طويلين سما فيهما عقل إخناتون إلى ماوراء الإدراك المادي ، وقد فاق هذا التصوير للألوهية بصورة مدهشة تصورات الكثير من مفكرى اليونان، إذ لم تكن فكرة الألوهية على هذا النحو التصوري الساعي نحو التجريد والماوراء – موضوعًا لتفلسف هؤلاء إلا في عصر متأخر نسبيًا على يد أفلاطون وأرسطو. [١٣٦]

([١٣٥]) د.مصطفي النشار : فلاسفة ايقظوا العالم ، ص ص ٢٨، ٢٩

([١٣٦]) د.مصطفي النشار : مدخل لقراءة الفكر الفلسفي ، صـ٣٨.

❖ **العداء بين أنصار آمون وآتون:**

لقد حاول إخناتون في بداية الحديث عن ديانته الجديدة مهادنة كهنة آمون معللًا النفس باكتساب بعضهم لاعتناق دينه الجديد، الأمر الذي جعله يظل لفترة طويلة يحمل الألقاب التقليدية المتوارثة منذ أقدم العصور مثل **"الفحل القوى، المحبوب من الإلهين الصقر الذهبي، صاحب التيجان الملكية، ملك الشمال والجنوب، ابن الشمس، أمنحوتب، الحاكم المقدس بطيبة، الأبدى، المحبوب من آمون – رع"**، ولكن هذا كله لم يجعل العلاقات تتحسن بين الملك وكهان طيبة، بل إن الأحداث تدل على أن هذه العلاقات أخذت تسوء منذ إعلان إخناتون لبعض صفات إلهه الجديد " رع –حور– آختي" الذي يهنأ في أفقه تحت اسمه الجديد " الحرارة الكامنة في آتون "، ولقد كان لإعلان هذه الصفات وقع الصاعقة في آذان كهان آمون، إذ تبينوا فيها اتجاهًا جديدًا لم يعهدوه من قبل، ولابد أنهم تساءلوا عن معنى الحرارة الكامنة في آتون، بينما كان "رع" ولا زال بالنسبة للجميع هو قرص الشمس بذاته، وتأكدت ظنونهم عندما أعلن الملك الشاب في حديث بينه وبين وزيره الأول المدعود "رع – مس" ميوله نحو إلهه الجديد، سجل الوزير هذا الحديث في مقبرته المشهورة.[١٣٧]

لقد أحس كهنة آمون بأن هناك مؤامرة تحاك ضدهم، وأن الأحداث تجرى سراعًا، ومما زاد الأمر صعوبة أن التيارات الجديدة التي أقلقت مضاجع كهان أمون، كان يصحبها تجديدات فنية قلبت الأسلوب الفني القديم وقواعده رأسًا على عقب بل هدمته وأودت به، فلقد طلب الملك من الفنانين بأن يتوخوا الأسلوب التعبيري في فنهم، وأن يتجنبوا المبالغة في

([١٣٧]) عبد المنعم أبو بكر: إخناتون ، ص ص ٧٥،٧٨

إبراز صور الأفراد في ذلك الإطار المثالي الذي يمثلهم كما يود الفرد أن يكون عليه وليس كما هو في حقيقته، وانصب هذا التوجيه الجديد على الملك نفسه، فالرسوم الموجودة على أحجار ذلك المعبد الذي شيده الملك « لآتون» في الكرنك مرسومة بذلك الأسلوب التعبير الذي يميز حكمه، ولقد حدث هذا كله في أوائل عهد إخناتون بالحكم وقبل أن يعلن ثورته، إلا أن إفصاحه عن صفات آتون وإصراره على اتباع قواعد الفن التعبيري كان ولاشك بمثابة الصفعة على وجه مصرى ذلك العصر، وتحريض سافر على نشوب المعركة. [١٣٨] فلو اقتصر الأمر فقط على تقديم ذلك الإله الجديد على قدم المساواة مع الآلهة الأخرى لم يكن هناك ثمة قضية جديدة، فالديانة المصرية عبرت عن تسامحها وكرمها دومًا، وطالما قبلت الكثير من المعبودات الجديدة القادمة من خارج مصر في مجمع الآلهة المصرية، ولكن الإهدار الكامل للإله « آمون » وعدم ربط اسمه باسم الإله الجديد جعل الأمور أكثر تعقيدًا، فبالنسبة «لأمنحوتب الرابع» لم يجعل لآمون أي دور في الديانة الجديدة، ولا ريب أن ذلك قد تسبب في تفجير غضب عظيم بين كهنة آمون، وعندما عمد الملك في السنة السادسة إلى إعداد ترتيبات الاحتفال بالعيد الثلاثيني أو الحب « سد » كان قد تخلى عن الهيئة البشرية الأصلية الأتون، وهو الاسم الذي أطلقه على إلهه الجديد، ثم بدأ في إبرازه كجوهر سمائي في شكل قرص الشمس تخرج منه الأشعة منتهية بأيدي بشرية، تحمل كل يد منها العلامة الهيروغليفية الدالة على الحياة، وهي تكاد تلامس أنف الملك أو أعضاء عائلته المكونة من زوجته الملكة « نفرتيتى » وبناته الأميرات، حيث لم ينجب أمنحوتب الرابع أي أبناء ذكور، والجديد

([١٣٨]) عبد المنعم أبو بكر: المرجع السابق، ص ص ٧٥،٧٨

هنا أن الإله « آتون » قد اشترك مع الملك في الاحتفال بالعيد الثلاثيني وأصبح اسمه حينذاك « آتون الحي العظيم في عيد اليوبيل الثلاثينى »، وبذلك أضحى ذلك الإله سيدًا أعلى، وملكًا في ذات الوقت كما أحيط اسمه الكامل في خرطوشين ملكيين كأي اسم فرعونى.[١٣٩]

لقد إختلف إله إخناتون تمامًا عن آلهة المصريين، وأصبح يمثل القوة الكامنة في قرص الشمس والحرارة التي تشع منه، وليس كباقي الآلهة التى تُمثل في صورة بشرية أو حيوان مقدس، وحين وصلت العلاقات بين الملك وكهان آمون إلى هذا الحد من السوء، وأخذ الجو في الكرنك يتلبد بالغيوم، أفصح الكهنة عن ثورتهم وأخذوا يحيكون المؤامرات للقضاء على إخناتون؛ ولقد جاء هذا بشكل واضح في وثيقتين:

أولاهما : عبارة عن حديث للملك نقشه على إحدى اللوحات التي كانت تحدد منطقة مدينته الجديدة في تل العمارنة الحالية، ويذكر لنا فيه الطريقة التي قابل بها كهان آمون أولئك الذين يعلمون الناس الصدق، وينشرون تعاليمه الجديدة ثم يستطرد فيقول :

"أقسم بحياة والدى آتون أن الكهنة كانوا أشد إثمًا من كل الأشياء التي سمعتها حتى العام الرابع، بل أشد ضررًا من كل الأشياء التي وقعت حتى العام السادس".

أما الوثيقة الثانية: فهي : عبارة عن تسجيلات وردت مرسومة على جدران مقبرة رئيس الشرطة المدعو« ماحو»، وتحوى تفصيلات عن مؤامرة دبرها ثلاثة، أحدهم مصرى، أما الأثنان الآخران فكانا من الأجانب، ولا شك أن هدف هذه المؤامرة كان القضاء على الملك، إذ نرى الوزير بعد القبض على

---

(١٣٩) ياروسلاف تشرني : الديانة المصرية القديمة ، ص ص٨١-٨٢

المجرمين يتوجه بالشكر «لآتون» الذي وفقهم في الكشف عن هذه المؤامرة قبل تنفيذها.[١٤٠]

ولما أصبح التحدي سافرًا بين الملك والكهنة، فقد فجر الملك ثورة كاملة على كل ماعدا آتون الإله الواحد الأحد، فلقد أراد اخناتون ومن آمنوا معه وتعصبوا للصورة الجديدة لآتون، أن يحولوا إيمانهم إلى أفعال لصالح معتقدهم، فبدأوا في محو اسم آمون من كل المعابد والمقابر ولم تلق هذه المجموعة المتعصبة بالًا للأضرار التي الحقوها بتلك المباني الجميلة ولم يتوقفوا عند محو اسم آمون فقط، بل حذفوا في حالات كثيرة أسماء الآلهة الأخرى، ففي معبد بتاح في الكرنك شوهت أسماء بتاح وحتحور، وفى بهو أعمدة تحتمس الثالث في الكرنك لحق هذا المصير بجميع الآلهة "ايزيس واوزوريس وحورس وأتوم ومنتو وغيرهم"، وكان الأكثر دلالة على إيمان هؤلاء الشديد بعقيدة التوحيد أن كانوا يحذفون كلمة الهة أينما وجدوها، فلم يعد مقبولًا في ظل الايمان باله واحد أن يكون هناك آلهة، ومن ثم فقد أعلن إخناتون ايقاف كهنة آمون عن العمل، وأعلن أن آمون إله زائف وأن عبادته الحاد.[١٤١]

أخذ كهنة آمون يكيدون لإخناتون ويدبرون له الممرات، فلما ضاق بهم زرعًا شيد عاصمة جديدة له في مكان قرية "تل العمارنة" الحالية، وانتقل إليها هو وأسرته ووزرائه ومحبوه والمتحمسون لدينه الجديد تاركًا طيبة عاصمة الإمبراطورية ومقر عبادة آمون رع ! وانشأ عاصمته الجديدة "أخيت آتون" أي أفق آتون".[١٤٢]

---

(١٤٠) عبد المنعم أبو بكر: إخناتون ، ص ص ٧٨، ٧٩

(١٤١) د.مصطفي التشار : فلاسفة ايقظوا العالم ، ص ص ٢٧، ٢٨

(١٤٢) سيرو.م فلندرز بتري : الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، ص ص ١٥٩،١٦٠

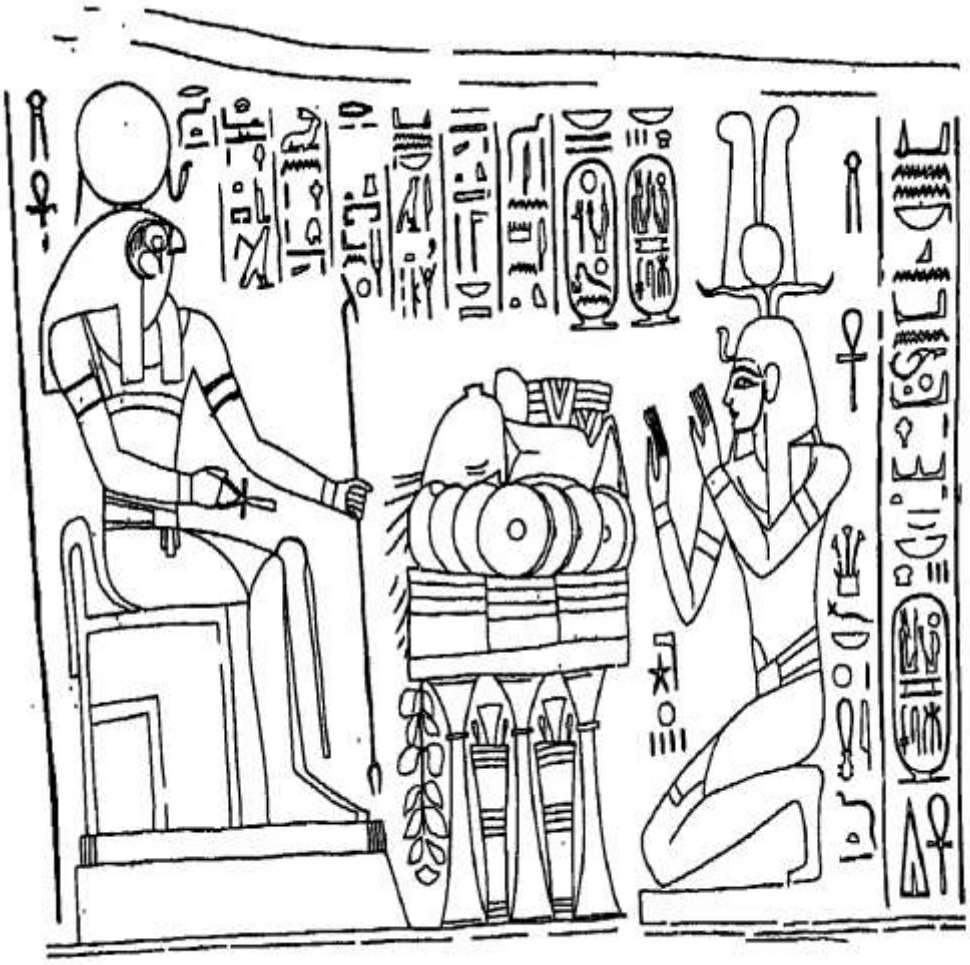

الإله «آمون» على هيئة رجل برأس صقر يتقبل القرابين من الملك «رمسيس الثاني»

❖ خناتون يهجر طيبة:

ليس من شك في أن الهوة التي كانت بين الملك الشاب وكهان آمون، بلغت في العام السادس من حكم الملك منفرداً، حدًا جعل الأخطار تحف به، بل تعرضت حياته لمؤامرات هدفها القضاء عليه، وليس من شك أيضًا أن كهان آمون اعتقدوا أن الملك المريض الهزيل سوف يمتثل لهم ويتراجع عن

هدفه وسوف تكون الغلبة لآمون في آخر الأمر، ولكن الملك كان في إصراره أقوى مما اعتقدوا، فلم يلبث أن أعلنها حربًا لا هوادة فيها ضد آمون، إذ أمر – كما ذكرنا من قبل– بتجريد حملة من العمال والصناع، تعاونهم فرق كبيرة من الجيش لبدء حركة إرهاب عنيفة هدفها محو « آمون » ليس من طيبة فقط بل من كل أرجاء الإمبراطورية المصرية، والقضاء على كهنته، ولم يلبث أن أتبع ذلك بتغيير اسمه من أمنحوتب » والذي يعني آمون راضى إلى « إخناتون » أى (المفيد لآتون)، وأصبح بذلك أمر إنكار الإله القديم والإيمان بالإله الجديد شيئًا رسميًا، الأمر الذي جعل من بقاء الملك في طيبة أمرًا محال، لذا فقد قرر تشييد عاصمة جديدة اختار لها مكانًا يتوسط تمامًا المسافة بين منف العاصمة القديمة في الشمال، وطيبة في الجنوب، وهما العاصمتان اللتان تبادلتا الحكم في التاريخ المصري.[١٤٣]

فلقد ووقع اختياره على تلك البقعة التى لم ترتبط من قبل باسم أي معبود، أو حتى مخلوق بشري، وتقع قرب منتصف المسافة بين مدينتي طيبة ومنف في جوار قرية العمارنة الحديثة بمصر الوسطى، وأطلق عليها اسم « أختاتون *Akheraton* » أو « أفق آتون ».[١٤٤]

ورأى في نفسه أنه نبي هذا الدين ورسول الإله، ومن واجبه بناءً على ذلك أن ينشر رسالته وأن يبصر بجمال « آتون » وينشر عبادته في أنحاء البلاد ويجعل أسمه واضحًا للناس لأن أباه الإله تجلى له واعطاه هو وحده الحق

([١٤٣]) عبد المنعم أبو بكر: المرجع السابق ، ص ص٨٠-٨١-٨٢

([١٤٤]) ياروسلاف تشرني : الديانة المصرية القديمة ، ص ص ٨١ ،٨٢

في فهم أفكاره ومعرفة أسرار قوته، وقد تزعم أخناتون بنفسه مجالس الدعوة للإله وسلك سبيله إلى قلوب اتباعه بالمنطق السديد والقدوة الطيبة، واصطفى لنفسه بعض الأتباع يعلمهم كما علمه الإله، كما كان يأخذ زوجته وبناته إلى معبد العاصمة ليؤم العبادة ويرتل الدعوات .[١٤٥]

هكذا لم يقتصر فكر إخناتون الفلسفي على هذه الآراء الراقية الرائدة حول وأحدية الإله، بل كان له فكره الأخلاقي والإجتماعي والسياسي السامي؛ فقد بني مدينته الجديدة في تل العمارنه ليعبد فيها هذا الإله الواحد، ولتكون العلاقات الإجتماعية الجيدة – التي دعا إليها إخناتون حينما ظهر لمواطنيه وعاش بينهم بصحبة زوجته نفرتيتي– هي أساس هذه المدينة التي كانت أشبه ما تكون بمدينة مثالية حطم فيها إخناتون كل تقاليد حكام مصر السابقين، ودعى لثورة فنية– كما ذكرنا من قبل– حينما أمر النحاتين والرسامين بأن يصوروه بحالته الجسمية الطبيعية على عكس ما كان سائدا من قبل حيث كان يصور الفرعون في صورة مثالية نموذجية تعبر عن ألوهية الحاكم.[١٤٦]

أن عنف هذه الثورة الاجتماعية والفنية التي فجرها ملكنا الفيلسوف لا يتضح إلا إذا عرفنا أن المصري القديم درج منذ فجر تاريخه على أن يطلق على ملكه " الإله الطيب" وأن يصوره في إيطار يتفق مع تأليهه له، فكانت تماثيل الملك– الإله تصوره يافعًا قويًا كامل الأعضاء خال من العيوب

([١٤٥]) د.مصطفي النشار : فلاسفة ايقظوا العالم ، ص ص ٣٤،٢٧

([١٤٦]) د.مصطفي النشار : الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، ج ١ ، صـ ٣٨ .

والنقائص، وجاء إخناتون ليصر على أن يرسمه الرسام كما هو بعيوبة الجسدية ومشاعره البادية على وجهه، وفي كل مظاهر حياته، وهو ولاشك كان مدفوعًا في ذلك بإيمان مطلق بالحق والعدالة والصدق الذي يتنافر معه أن ينافق مجتمعه، وأن يظهر في صورة غير صورته الحقيقية، وقد امتثل الفنانون والمثالون لآراء الملك الجمالية فأصبحت الرسوم التي خلفها عصره في نقوش مدينته نابضة بحيوية استمدت أصولها من الواقع والحقيقة، وامتازت التماثيل بأظهار طراوة أعضاء الجسم الذي يكاد أن ينبض بالحياة وقد أبدع الفنانون بحساسيتهم الجديدة في رسم حركات الأيدي والأرجل ورسم النباتات والزهور وأسراب الطيور، وأصبحوا يمزجون بين الطبيعة والإنسان في شمولية فنية رفيعة المستوى.(١٤٧)

هكذا أضحت تلك البقعة التي تنطوي على مقر إخناتون الجديد محددة بواسطة عدة لوحات حجرية ضخمة غطيت بالنقوش التذكارية لإنشاء هذا المقر، وأنجز العمل في بناء المدينة المتسقة بهمة عظيمة، بحيث لم ينس بها شيء بدءًا من العديد من معابد آتون مرورًا بالقصور الملكية للفرعون وعائلته والمساكن الفسيحة للمقربين من بطانته نزولًا بمقابر الملك وأتباعه التي حفرت في التلال الشرقية للعاصمة وكان المعبد الأكبر لآتون يضم بضع أفنية ومذبحًا للقرابين مشيدًا في الهواء الطلق المفتوح للسماء مشبهًا بذلك معابد الشمس في الأسرة الخامسة، ومتناقضًا مع معابد الآلهة التقليدية التي كانت تقبع في محاربها أو قدس الأقداس بها تماثيل هذه الآلهة دون

(١٤٧) د.مصطفي النشار : فلاسفة ايقظوا العالم ، ص ص ٣٦ ،٣٧.

استثناء في ظلام تام.[١٤٨] وأصبح المعبد مكان يتجمع فيه العابدون فيرفعون صلواتهم وأدعيتهم إلى الإله الواحد الأحد الذي يستقر في أسمى مكان، كذلك لم تعد الاضاءة في المعبد تتفاوت مع نهار مشرق إلى عتمة تغشي بهو الأعمدة إلى ظلام دامس في قدس الأقداس حيث يكمن سر الإله، بل لقد استلهم المهندسون أراء أخناتون في بناء معبد آتون، فجعلوا الأساس فيه الانتقال من ضوء النهار خارج المعبد إلى نوره الساطع الغامر داخله مع انتقاء وجود فرجة بين هذا وذاك، وقد اختفت المسلات والأصنام، بل وتماثيل الملك من معابد آتون تمامًا.[١٤٩]

هكذا توافر لهذه المدينة كل مظاهر الفخامة مع مظاهر السعادة والسرور، فقد كانت مدينة فاضلة تعمل للدين والدنيا معًا، فنحن وبعد آلاف السنين – على حد تعبير أرمان – حينما نلقي نظرة على تلك المدينة نجد أنفسنا مدفوعين نحو رؤية عالم تظلله السعادة وتباركه أشعة الشمس، زوجان ملكيان مع بنات صغيرات لطيفات، مدينة مليئة بالمعابد التي تسري بها الأنغام، وقصور، ومساكن، وبحيرات.. كل هذا محاط بهالة من الإيمان المرح الذي لا يعرف إلا الصلوات لشكر الخالق المملوء طيبة ولا يعرف إلا العدل نحو الغير، حتى إذا كان من شعب غريب، وكان هذا شيئًا عجيبًا نادرًا في العالم لم نعهده من قبل، ولعل أهم عناصر هذه الصورة المثالية لمدينة إخناتون الفاضلة، هو الملك نفسه، فقد أخذ على عاتقه أن يكون رأس

---

(١٤٨) ياروسلاف تشرني : الديانة المصرية القديمة ، ص ص ٨٢–٨٣

(١٤٩) د .مصطفي النشار : المرجع السابق ، ص ص ٣٣–٣٤

الدولة ملكًا فيلسوفًا عادلًا بحق، فكان يحاول دائما أن يغزو عقول رعاياه بالحجة والمنطق لا بالقوة والجبروت، وأن يغزو قلوبهم بالمحبة والود، وظل على هذا الحال بين رعاياه ومحبيه داخل مدينته طوال ثلاثة عشر عامًا كاملة، ظل يحكم بالعدل، ولا يقول الا الصدق، ولا يدعو الا الى السلام.[١٥٠]

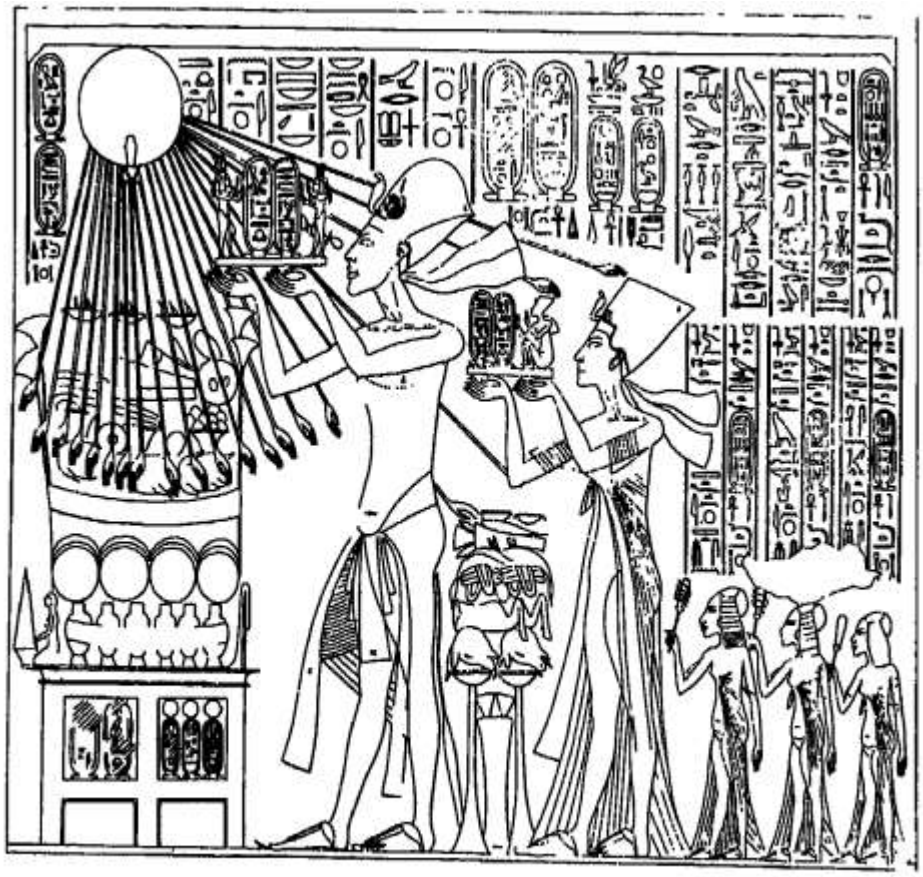

الملك «أخناتون» والملكة «نفرتيتى» وخلفهما بناتهما الثلاث يقدمون القرابين للإله «آتون»

(١٥٠) نفس المرجع: ص ص ٣٣،٣٤.

❖ **أناشيد آتون:**

هاجر إخناتون بأهله وأتباعه من العاصمة القديمة الطيبة، إلى أرض وصفها بأنها أرض بكر طهور، لم يدنسها شرك في العبادة ولم يعبد فيها من قبل إله أو إلهة، تتوسط أراضي القطر، وتقوم على أنقاضها بلدة العمارنة الحالية، وسماها أخيتاتون أى أفق أتون أو مشرق آتون، وخرجت أناشيد الدين الجديد تناجي ربها بالود والحب والتبجيل، وقالت فيما قالت :

"تجليك في أفق السماء بديع، آتون الحي أصل الحياة . . . أنت البهى، أنت الجليل، أنت المنير، أنت العلى فوق كل أرض . . ."

وعرضت الأناشيد منن الإله الظاهرة في حجج فطرية مقنعة، استخدمت المقابلة فيها بين حال الأرض وأهلها حين غياب نور" كوكب " الرب وحين ظهوره، فكلما غاب أظلم الكون وأصبح كالموات، وهجع الخلق، وكثر النهب، واستشرى الوحش، ودبت الزواحف، فإذا أشرق آتون بدل الحال غير الحال، فشتت الظلمة، وبسط الأشعة، وكفل الأمن ويسر السعى، ولما كانت مذاهب الدين القديم قد ربطت بين الإله وعباده بروابط شتى، فتخيرت الدعوة الجديدة من هذه الروابط، روابط العطف والحب، وأعلنت أن ربها عظيم المحبة، وأنه أم وأب لكل من خُلق، وله يسبح البشر والحيوان والطير والنبات، كل منهم بطريقته وتسبيحه، وقالت : **"الزهر ونبت الأرض ينفتح لمرآك، وتتملكه النشوة لمحياك، والأنعام تتراقص على أقدامها، والطيور في أوكارها تطوى أجنحتها وتنشرها**

تسبيحًا لآتون الحي خالقها . . ، الأرض بأسرها عامرة بحبك، والعشب والشجر يتمايل لمطلع وجهك، وأسماك الماء تتراقص لرؤيتك. . . . ". [١٥١]

وكما هو ملاحظ من كلام إخناتون– كما يقول أرمان – ليس له شريك وأن كل ما كانت تقوم به الألهة الأخرى، يقوم هو به، فقد سوى نفسه بنفسه، وخلق كل شيء بدون معونة من أحد، ولنترك التعبير عن ذلك لإخناتون حيث يقول في انشودته :

"ايا أيها الاله الذى سوى نفسه بنفسه

خالق كل أرض . . وباريء كل من عليها

حتى الناس وكل قطعان الماشية والغزلان

وكل الأشجار التي تنمو فوق التربة

فانها تحيا عندما تشرق عليهم

وانت الأب والأم لكل من خلقته

وعندما تشرق فان عيونهم ترى بواسطتك"

ولاشك أن كل ذلك يؤكد نقاء العقيدة الإخناتونية، فقد أحكم إخناتون التصور الجديد للإله بمنطق سديد وفهم عميق لمعنى الألوهية وضرورة وحدانية الإله. [١٥٢]

([١٥١]) د.عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول " مصر والعراق " ، ص ص ٤٨٥ ٤٨٦

([١٥٢]) د.مصطفي التشار : فلاسفة ايقظوا العالم ، ص ص ٢٩ ،٣٠

الأنشودة القصيرة

لقد اكتشفت أناشيد عديدة في مقابر تل العمارنة، أهمها النشيد الذي وجد مكتوبًا على جدران مقبرة الكاهن «آى» وقد عزيت هذه الأنشودة – كما يؤكد برستيد – إلى إخناتون نفسه حيث كان يشاهد وهو ينشدها أمام آتون، وقد صور فيها الاله آتون في أجمل صورة مجردة، وقد اختار الشمس رمزًا له باعتبار أن الألوهية – في رأيه– تبدو أكثر ما تبدو في الشمس فهي مصدر الضوء والحياة على الأرض.[١٥٣] وهو يخاطب آتون فيها قائلًا :

"إنك تشرق جميلاً في أفق السماء

يا آتون الحي يا بدء الحياة

إنك إذا أشرقت من جبل النور الشرقي

ملأت كل بلد بجمالك ومحبتك

إنك جميل . إنك عظيم

إنك تتلألأ عاليًا فوق كل بلد

إن أشعتك تحيط بالأراضي كلها وبكل شيء خلقته

لأنك رع، وتستطيع الوصول إلى نهايتها .

([١٥٣]) نفس المرجع: ص ٢٧ ٢٨

و تستطيع أن نجعل كل بلد أسيرًا لك

إنك الإله الذي دان الجميع بحبك

إنك ناء ولكن أشعتك على الأرض

إنك تشرق على وجوه الناس

ولا يستطيع أحد منهم أن يتكهن بسر قدومك

***

حينها تغيب في أفق السماء الغربي

أظلمت الأرض وأصبحت تبدو كأنها ميتة

فيستقر الناس في حجراتهم وقد غطوا رؤوسهم

وانخفض صوت زفيرهم

ولا ترى عين عينًا أخرى

ويتسلل اللصوص إلى المنازل

ويولون الفرار دون أن ينتبه أحد إليهم

أما السباع فهي تخرج من عرينها

والثعابين تنساب وتلدغ

يخيم الظلام ويعم الأرض السكون

عندما يذهب خالقها ليستريح في أفقه الغربي

***

وإذا أصبح الصباح تشرق متألقًا في الأفق

وعندما تضيء كآتون أثناء النهار

تبدد الظلام ويستيقظ كل من القطرين مهللًا

ويصحو الناس ويقفون على أقدامهم

لأنك أنت الذي توقظهم

فيغتسلون ويلبسون ملابسهم

وترتفع أذرعتهم متعبدين لشروقك

ثم ينتشرون في الأرض يباشر كل منهم عمله

أما الماشية فهي فرحة في مروجها

والأشجار والنباتات فهي تزدهر

والطيور فهي ترفرف تاركة أوكارها

وتسبح أجنحتها بحمدك

وتقفز الحملان على أقدامها

وكل ما يطير أو يحط تهتز أعطافه

لأنك تشرق من أجله

وتبحر السفن شمالًا وجنوبًا

وتعج الطرق بالناس

أما الأسماك في النهر فهي تقفز أمامك

إن أشعتك تنفذ إلى أعماق البحر

إنك تعطي الحياة الجنين في أحشاء النساء

وإنك تصنع من النطفة الرجال

وإنك أنت الذي يعني بالطفل في بطن أمه

وتسكن روعه فلا يبكي

إنك بمثابة المربية للجنين وهو لا يزال في بطن أمه

إنك تهب نسيم الحياة لكل إنسان خلقته

إذا خرج الجنين من بطن أمه

جعلت من ذلك يوم ولادته

ثم تفتح فمه ليتحدث

وتدبر ما يحتاج إليه

وإذا صاص الفرخ في بيضته

فإنك تهبه الهواء ليبقيه حياً

ثم تمده بالقوة حتى يثقب بيضته

وتخرج منها وهو يصيص بكل ما لديه من قوة

ويسعي على قدميه إذا خرج منها

***

ما أكثر مخلوقاتك

وما أكثر ما خفي علينا منها

أنت إله يا أوحد ولا شبيه لك

لقد خلقت الأرض حسبما تهوى أنت وحدك

خلقتها ولا شريك لك

خلقتها مع الإنسان والحيوان كبيرة وصغيرة

خلقتها وكل ما يسعى على قدميه فوق الأرض

وكل ما يحلق بجناحيه في السماء

خلقت بلاد سوريا و النوبة ومصر

وأقمت كل إنسان في مكانه

ودبرت لكل إنسان ما يحتاج إليه

وجعلت لكل منهم أيامه المعدودة

لقد تفرقت ألسنتهم باختلاف لغاتهم

كما اختلفت أشكالهم والوان أجسادهم

لأنك أنت الذي يميز أهل الأمم الأجنبية

***

لقد خلقت النيل في العالم السفلى

ودفعت به إلى أعلى مشيئتك

ليحفظ أهل مصر أحياء

وذلك لأنك أنت الذي خلقهم لأجل نفسك

وأنت سيدهم جميعًا ، الذي يشغل نفسه من أجلهم

أنت يا شمس النهار

يا عظيمًا في جلالك

***

أنت الذي يعطي الحياة لكل البلاد الأجنبية البعيدة

لقد جعلت نيلًا يهبط إليهم من السماء

وجعلت له أمواجًا تتدافع على الجبال كالبحر

لتروي حقولهم التي في قراهم

ما أعظم تدبيرك يا سيد الأبدية

وهبت نيل السماء لشعوب الجبال

فأحييت حيوانها وكل من يسعى فوق أقدامه

أما النيل فهو يخرج لمصر وحدها من العالم السفلي

تغذي اشعتك كل حديقة

ويحيا وينمو كل نبات إذا ما أشرقت عليه

لقد خلقت الفصول لكي تمحي كل مخلوقاتك

وجعلت لهم الشتاء ليتعرفوا على بردك

ثم جعلت لهم الصيف ليتذوقوا حرارتك

لقد خلقت السماء البعيدة لتشرق فيها

وحتى ترى كل ما صنعت

وذلك عندما كنت وحيدًا

أنت الوحيد الذي يشرق في صورته كآتون الحى

ساطعة متلألًا رائحًا وغاديًا

لقد خلقت من نفسك تلك الأشكال التي تعد بالملايين

مدنًا وقرى وقبائل وجبالًا وأنهارًا

كل العيون ترنو إليك

لأنك أنت آتون الذي يشرق في النهار على الأرض

وحينما تغيب

وكل الخلق الذين أمددتهم بالحياة

لكي لا تجد نفسك وحيدًا بعيدًا

يغشاهم النعاس حتى لا يرى واحد منهم ما خلقته

إنك في قلبي

وليس هناك من يعرفك

غير إبنك « نفر خبرورع – واع إن رع ، (إخناتون)

إنك أنت الذي ثقفته بتدبيراتك وقوتك

إنك أنت الذي أمددته بالحكمة

***

أنت الذي صنعت الدنيا بيديك

وخلقت الناس كما شئت أن تصورهم

إذا ما أشرقت عاش الناس

وإذا ما غربت ماتوا

إنك أنت الحياة

ولا يحيا الناس إلا بك

تستمتع العيون بجمالك حتى تغرب

فإذا غربت في الأفق الغربي

ترك الناس أعمالهم كلها

ولكن عندما تشرق ثانية

يزدهر كل شيء لأجل الملك

لأنك أنت الذي خلقت الأرض

وأنت الذي خلقت الناس لأجل إبنك

الذي ولد من صلبك

ملك مصر العليا ومصر السفلى

الذي يحيا في الحق"[١٥٤]

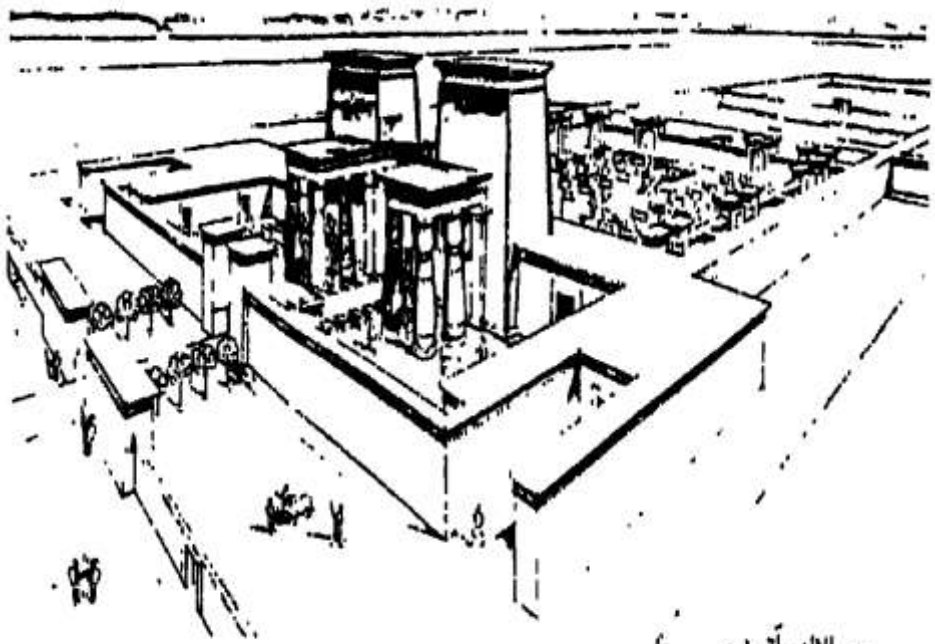

معبد الإله « آتون »

([١٥٤]) د.عبد المنعم أبو بكر: إخناتون ، ص ٩٣ :١٠١

❖ **الديانة العالمية:**

لقد بلغت دعوة إخناتون غايتها القصوى حين خرجت عن الإقليمية إلى العالمية، فنادت بإله رحيم في كل أمره، محبوب في كل أمره، خلق الكون عن حب ورغبة، واقتضت عدالته أن ينتفع القريب والبعيد بفضله، وتنبسط الاؤه بانتشار أشعته في أقطار الدنيا بأسرها، دون تفرقة فيها بين أبيض وأسود، فلم لا يجتمع الناس إذًا على عبادته كما اجتمعوا على النفع منه ؟ .
وقال إخناتون في هذا وهو يسبح ربه :

"رب أحد دون شريك ، برأت الدنيا وكنت فردًا

خلقت البشر والأنعام، وكل مايسعي على الأرض بقدم، ويحلق بجناح في الفضاء

وأقطار سوريا والسودان وأرض مصر، وجهت كل فرد فيها إلى موطنه، ودبرت للجميع شئونهم

فأصبح لكل فرد رزقه وتعين لكل فرد أجله، وظلت الألسنة بينهم في النطق متباينة والهيئات

والألوان متمايزة

آتون ياضوء النهار، ياعظيم المجد ، بلدانا نائية تهبها الحياة وترسل الغيث من أجلها ، يموج الغيث

فوق الجبال كالبحر الخضم ويسقى الحقول بين القرى

ما أجل تدبيرك رب الخلود ، فيضان في السماء لأهل القفار وحيوان الفلا ومايدب على قدم،

وفيضان سواه لأرض مصر يأتي إليها من دنيا العدم"

هكذا لم يجد آخناتون بأسا من أن يذكر اسم مصر العظيمة بعد ذكره الشام والسودان باسم كاش ، مادام الخالق الرازق واحدًا، رحيمًا هنا ورحيمًا

هناك، جوادًا هنا منعمًا هناك، خلق الجميع على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومواطنهم، وتكفل بأرزاقهم، وكان معجزًا حين وهب مصر فيضانًا من الخفاء، كريمًا حين وهب غيرها فيضانًا من سحب السماء، ولقد تزعم إخناتون – كما ذكرنا من قبل– مجالس الدعوة وأعلن نفسه نبيها والمصطفى لنشرها، واصطفى لنفسه حواريين يعلمهم كما علمه إلهه، ورأى أن تشييد دور العبادة خير سبيل لنشر الدعوة، فعمل على الإكثار منها بإسم آتون في أمهات المدن المصرية، كما أوحي بإقامة أمثالها في عواصم النوبة والشام، وجعل مدينته "أخيتاتون"، مدينة فاضلة تعمل للدين والدنيا معًا، تبشر بالإيمان السمح المستبشر، وتشيد بالعدل في كل أمره، وتتردد تسابيح الشكر والصلوات لآتون في معابدها، كما تتردد الأغاني والأنغام وأهازيج حب الطبيعة والجمال في مجالسها .[١٥٥]

ولقد اقترح بعض الباحثين رأيًا مفاده أن مبادرة إخناتون الروحية استهدفت أساسًا تشييد ديانة عالمية تحظى بالقبول من كل شعوب الإمبراطورية، وذلك بتجريدها من الملامح المصرية البحتة، خاصة في مصاف الأساطير، وربما كان إخناتون مدركًا بالفعل للطابع الدولى لإلهه، ولكن من غير المتوقع أن يكون من ذلك الضرب من الرجال الذين يستوحون مبادئهم من مجرد المتطلبات العملية السياسية، فعلى النقيض من ذلك كان يبدو مدفوعًا بحماسه الديني النقي، وليس ثمة دليل مؤكد على محاولته التبشير بديانته لشعوب خارج حدود مصر، فيما عدا إطلاق اسم « جم أتون *Gematon* »

([١٥٥]) د.عبد العزيز صالح الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول " مصر والعراق" ، ص ٤٨٦ :٤٨٨

على مدينة بالنوبة، مشتقًا من اسم إلهه، وبنائه لمعبد له هناك والحق أنه كان مستغرقًا تمامًا في ضرب من التبتل والتأمل الباطني لذات إلهه، ولم يعرب عن اهتمام له خاص فيما عدا افتتانه بإلهه وبأفراد عائلته.[١٥٦]

❖ وفاة إخناتون وإنتهاء ديانته:

لقد كانت وفاة إخناتون بعد حكم استمر سبعة عشر عامًا بمثابة بداية النهاية لديانته بعد أن اختفى المبشر الذي نظمها وفرضها معًا، وانطلقت بهذه الوفاة قوى ردود الفعل ضدها، وتحول خليفته الثاني "توت عنخ آتون" أو "الصورة الحية لآتون" إلى الديانة القديمة بعد أن غير اسمه إلى « توت عنخ آمون » أى «الصورة الحية لآمون»، كما عُرف أنه عاد إلى العاصمة الأصلية طيبة حيث دفن هناك، وبدأ اضطهاد ذكرى إخناتون منذ العهد الملكي لـ"حور محب" خليفة "توت عنخ آمون" فدُمرت أسماؤه الملكية وصوره، كما أُزيلت أسماء إلهه آتون التي كانت مدونة داخل خراطيش ملكية من كل مكان وجدت به، ومن المثير رغمًا عن ذلك أن هذه النقمة كانت موجهة بصفة رئيسية ضد شخص صاحب العقيدة الآتونية، أكثر مما كانت ضد الإله آتون نفسه، والحق أن قرص الشمس الذي تنتهي أشعته بأيدي بشرية لم تعد تصور مرة أخرى، لكنها تُركت على الآثار دون أن تُمس، ولقد أُشير إلى عهده الملكي " بسنوات الخارج أو المهرطق".[١٥٧] وقد تعقل كهنة

([١٥٦]) ياروسلاف تشربي : الديانة المصرية القديمة ، صـ ٨٦

([١٥٧]) نفس المرجع: صـ٨٧

آمون اتباع دين إخناتون، وقضوا عليهم، فهُجرت تل العمارنة أو أخيتاتون، وعفا عليها الزمن، وبهذا انتهت تلك الفترة القصيرة اللامعة في تاريخ مصر، وضاعت في غمار التعصب والرجعية أرقي مرحلة في التفكير الديني واسمها ألا وهي الوحدانية.[١٥٨]

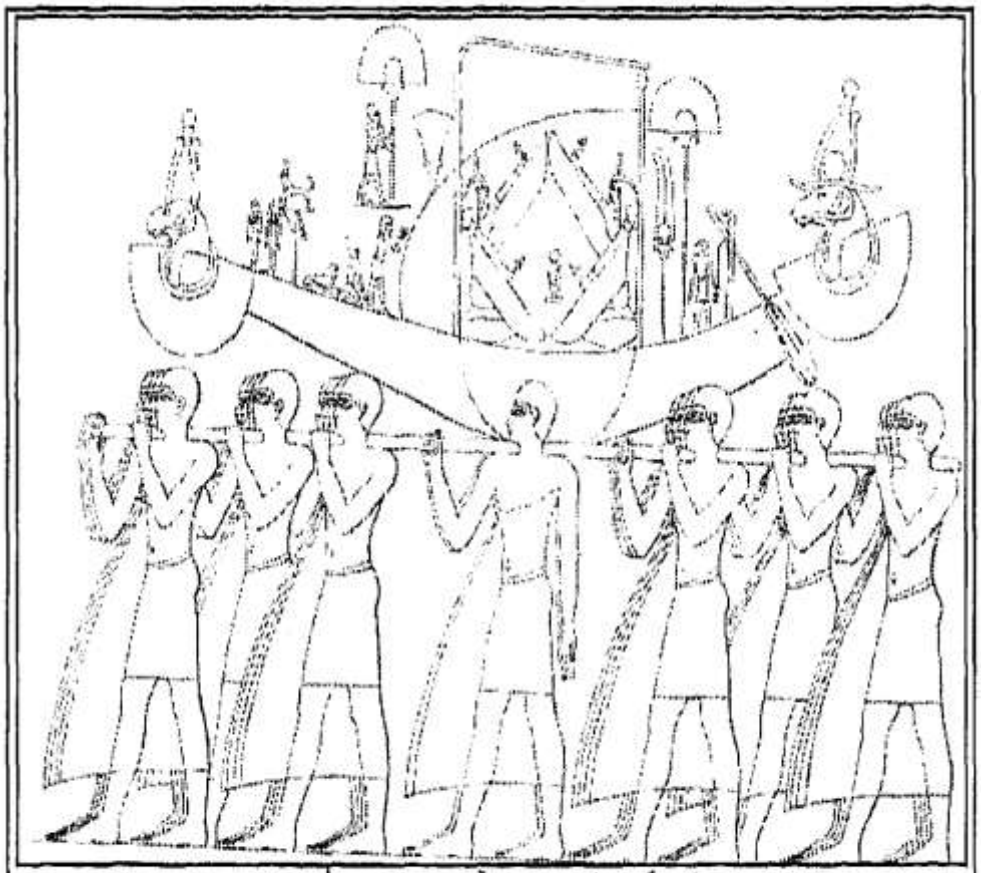

الكهنة يحملون مركب آمون - "عيد الأوبت"

ورغم كل ذلك فقد كان حكم التاريخ منصفًا بشكل عام لإخناتون، فإن كان تقييمه كملك فقد عرشه وتآكلت اطراف امبراطوريته كان في غير

(١٥٨) سيرو.م فلندرز بتري : الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، ص ص ١٦٠،١٥٩

صالحه، فإن تقييمه كأول ملك فيلسوف في تاريخ الفكر العالمي يكاد يغطي بل يمحو تلك الصورة السابقة تمامًا، فحيثما يُذكر إخناتون يُذكر معه على الفور أنه كان تلك الشخصية العبقرية الفذة التي استطاعت ببراعة عقلية ومنطق سديد، واقتدار عملي على تغيير مسار تاريخ الديانة المصرية، والمدنية المصرية، الفن المصري، والآداب المصرية، ومع ذلك وقبله استطاع تغيير صورة المفكر المصري كأفضل ما يكون التغيير نحو سمو تاليهي، واداب وفنون مصرية إنسانية ممزوجة بتصوير الواقع والطبيعة الخيرة للكون، إنه ذلك الملك الفيلسوف الذي كان أول من حقق في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، حلم كل الفلاسفة المثاليين في مدينة فاضلة يحكمها الفلاسفة، فلقد تحقق الحلم على يد إخناتون قبل أن يحاول تحقيقه الفيلسوف الصيني كونفشيوس في القرن السادس قبل الميلاد، وقبل أن يفكر فيه أفلاطون فيلسوف اليونان الشهير في القرن الرابع قبل الميلاد، وقبل أن يصبح الفيلسوف امبراطورا على يد ماركوس أوريللوس الفيلسوف الرواقي الروماني في القرن الثاني الميلادي، وفي إيطار كل ذلك فلتفخر مصر وإلى الأبد بأن إخناتون هو أشهر ملوكها، فقد حقق المجد الفكري الذي لا يدانيه مجد، ولا يعلو عليه انجاز مما تحقق على غيره من الملوك الفراعنة.[١٥٩]

فلقد قدم لنا أول محاولة جادة في التاريخ المصري لتقديم مفهوم توحيدى حقيقى مع إنهاء دور كل الآلهة العديدة الأخرى وعقائدها المقدسة، وهي محاولة لم يكن مقدرًا لها أن تنال أي فرصة للنجاح حتى ولو فرصة مؤقتة، ما لم تكن قد تمت بمبادرة من شخص يعتلى قمة السلطة في البلاد،

([١٥٩]) د.مصطفي النشار فلاسفة ايقظوا العالم ، ص ص ٤٠ –٤١

مما أتاح له إمكانية هذا التغيير وهو الملك إخناتون نفسه الذي كسب شهرته بصفته المصلح وأيضًا المهرطق الأوحد في تاريخ الديانة المصرية، ولسوء الحظ فإننا لا نعرف إلا القليل عن هذا الملك الشاب وعن الدوافع التي قادته إلى هذا الإصلاح الديني، ذلك الملك الذي تنبأ صورته عن جسد رقيق ضعيف وعن صحة معتلة وعلى ذلك فإنه لم يكن معدًا لمستقبل عسكرى، وربما أدي به ذلك إلى التركيز على عالم الفكر والتحليق في عالم ما فوق الطبيعة.[١٦٠] فوصل المصريون من خلاله إلى مفهوم الإله المطلق أو العالمي رغم عدم قدرتهم على التخلي بصورة كاملة عن الآلهة الأخرى التي توارثوها عن الماضي.[١٦١]

كما عكس هو وأتباعه جوهر الدعوة على الآداب والفنون، وحاولوا أن يخلصوهما من ركام التقاليد وقيود التراث القديم التي لاتوائم دعوة التحرر والاعتراف بالأمر الواقع في عهدهم، فتخففوا من أساليب الأدب المتقعرة القديمة وغلبوا عليها لغة الحديث المقبولة الشائعة، وبدأ إخناتون بنفسه في دعوة تحرر الفنون، ففتح مغاليق قصره للمثالين والرسامين، فمثلوه في بشريته الخالصة، وصوروه هو وأسرته في حياتهم العادية، حين فرحهم وحزنهم، وعبثهم وجدهم، وتوهم أنصار الدعوة أن الأمور قد صفت لهم، وتمنوا لفرعونهم ومعلمهم أن يظل بينهم وفي عاصمتهم، حتى يسود البجع، ويبيض الغراب، وتتحرك الجبال، وينساب الماء إلى حيث ينبع، وعلى

---

(١٦٠) ياروسلاف تشرني : الديانة المصرية القديمة ، صـ ٧٩

(١٦١) نفس المرجع: صـ ٧٩

الرغم من ذلك كله، لم يطل الأمد بدعوة التوحيد هذه، ولم يتهيأ لها من كثرة الأتباع ما كان يرجي لمثلها، ولم ينته الأجل بملكها حتى كان قد رأي عوامل التحلل والفشل تدب فيها من حيث ظن الخير ومن حيث لم يحتسب، وتمثلت هذه العوامل فيما قدمنا به عنها حين حديثنا عن الجوانب السياسية في عهد آخناتون ومجملها : عدم خروجه بنفسه للترويج لدعوته في أمهات العواصم داخل مصر وخارجها، وتقبله إسراف أنصاره في تمجيده حتى أعلنوه ابنا للإله، وأوشكوا أن يؤلهوه أيضًا وأن ينشغلوا بشخصه عن ديانته، وأن دعوته لم تأت بجديد يجذب العامة إليها ويرقي بحياتهم الاقتصادية أو الطبقية، وأن عقائد التعدد القديمة قد تغلغلت في معاملات جمهرة الناس، بحيث يصعب انتزاعها من نفوسهم بسهولة، وأن سمعة آمون رب الدولة القديم ونفوذ من بقي من كبار كهنته، كلاهما لم تخمد جذوته على الرغم من الرماد المؤقت الذي غطاها، وأن الشرق القديم الذي أمل آخناتون أن يجتذبه إليه بدعوته إلى عالمية الدين وإلى روح المسالمة والإخاء كان في شغل شاغل عنه بمشاكله الخاصة، وسلكت نفحة الوحدانية من بعده مسالك أخرى مستترة تحاشت فيها نقمة أنصار التعدد الكثيرين وضمنت بقاءها بين القلة المستنيرة من خاصة أهل الفكر في مجتمعها.[١٦٢]

([١٦٢]) د.عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الاول" مصر والعراق"، ص ٤٨٨:٤٨٦

الباب الثاني

الزرادشتية

الفصل الخامس: حياة زرادشت

الفصل السادس: الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية " الأبستاق"

الفصل السابع: الفلسفة الخلقية في الديانة الزرادشتية.

الفصل الخامس

حياة زرادشت

شخصية زرادشت

يطلق على زرادشت، في النصوص الأفستية، اسم زرادشت سبيتاما، وقد ورد اسمه حرفيًا«زرتوشتره»، وفي اللغات الإيرانية الحديثة «زرتشت » وكان اسمه بسبق بكلمة «أشو» والتي تعني الطاهر والنقي، أما كلمة "زرادشت "فقد جرى حولها أيضا خلاف، وهي تتألف من كلمتين:"زرت– أوشتره "، أي "الذهب + الجمال" لذلك، فقد ذهب بعض المستشرقين إلى أنها تعني صاحب الجمال الذهبية، ولكن بعضهم اعتبر "أوشتره" بمعنى النور والضياء واعتبر اسم زرادشت ذو النور والضياء الذهبي أو الشخص ذر الهالة الربانية.[١٦٣] ومن أسمائه زرادشت وهو الترجمة الإغريقية لـ"زاراثوسترا" الذي ضمنه نتيشة في مسرحيته الشعرية المشهورة" هكذا قال زاراثوسترا".[١٦٤]

أما عن شخصيته هل هي حقيقة أم خيال فقد اختلف الباحثون في ذلك وانقسموا في هذا الصدد إلى ثلاثة فرق:

الفريق الأول: ينكر وجود زرادشت وينادي بأنه لم يكن له وجود على الإطلاق، وأنه مجرد شخصية وهمية، مجرد نسج خيال لا أكثر، وفي صورة رجل عبقري حكيم .[١٦٥]

([١٦٣]) جمشيد يوسفي : الزرادشتية " الديانة الطقوس والتحولات اللاحقة بناء على نصوص الافستا " ، الوسام العربي،ط١ ، الجزائر ،٢٠١٢م، صـ٤٤

([١٦٤]) أ.ف.تومليين: فلاسفة الشرق، صـ١٤٥.

([١٦٥]) محمد ضاهر : الزرادشتية والزيدية تقابل أم تدابر، الأوائل، ط ١، دمشق ، ٢٠١٠ م ، صـ٣٢.

الفريق الثاني: أما الطائفة الأخرى – وهم السواد الأعظم من العلماء والمؤرخين – فذهبوا إلى القول بأن زرادشت شخصية تاريخية حقيقة واقعية لا ريب فيها، وأنه صاحب كتاب ودين عظيمين، وربما مرجعًا لخلاف على شخصيته يعود إلى نبوغه المبكر وذكائه الخارق وشدة جلده وتحمله في سبيل دعوته إلى الله سبحانه وتعالى.[١٦٦]

الفريق الثالث: اقر بوجود زرادشت ولكنه التزم الصمت ولم يقل قولًا منافيًا ولا مؤيدًا لنبوته.[١٦٧]

سواء كانت شخصية زرادشت حقيقية أم لم تكن، فإن ما يهمنا هنا هو تلك الشخصية في التصور الديني الزرادشتي، التي نسجت حولها تلك الديانة ، واعتبر نبيا أوحي إليه هذا الدين من قبل الإله اهورا مزدا، كلف بنشر هذه الرسالة، وتبليغ البشر بها ومثل معظم الشخصيات الأسطورية والمقدسة، حيكت حول حياة زرادشت قصص وحكايات امتزج فيها الواقع مع الخبال، والإمكان مع الإعجاز، والقدرات البشرية المحدودة مع الطاقات ذات المصدر الرباني، فإذا أضفنا الروايات السائدة عنه بين معتنقي دينه إلى تلك المعطيات التاريخية التي وردت في النصوص الدينية المقدسة، تتشكل لدينا صورة عن حياة زرادشت، تبدأ بالنبوة التي تعلن عن ميلاد نبي، وتنتهي بموت قدسي في أحد المعابد أمام النار.[١٦٨] فمهما تكن حقيقة الأمر فإن زرادشت يعد واحدًا من الشخصيات الدينية المهمة التي أثرت على مجرى الحياة الروحية عبر تاريخ الحضارة، ولا تكمن أهمية هذا المعلم الأخلاقي الكبير في مدى الانتشار الجغرافي والزماني للديانة الزرادشتية التي قامت

([١٦٦]) نفس المرجع: صـ٣٢

([١٦٧]) نفس المرجع: صـ١٠١.

([١٦٨]) جمشيد يوسفي : المرجع السابق، صـ٤٥

على تعاليمه بقدر ما تكمن في مدى تأثير أنكاره على الديانات العالمية اللاحقة .[١٦٩]

❖ حياة زرادشت

ترجح الروايات أن زرادشت ولد حوالي عام ٦٦٠ق.م بازربجان إحدى مقاطعات ميديا على مقربة من بحيرة أورميا في القسم الغربي من بلاد فارس.[١٧٠]

ففي الوقت الذي نجد فيه أساليب تحقيق أحداث معينة في حياة شخصيات مثل "اخناتون وبوذا والسيد المسيح "، فإننا لا ننعم بمثل هذه التيسيرات في حالة زرادشت، إذ أنه لسه هناك أحداث معروفة أو مصدقة للتحقق منها، وذلك لكون حياة زرادشت متخفية في نسيج أسطوري خيالي وغير معقول، حتى أنه ليبدو لأول وهلة أنه لا ينتمي إلى طراز الكائنات البشرية بل إلى طراز الأبطال الأسطوريين.[١٧١]

أما عن ولادته فقد كانت مثل كافة الروايات التي تتحدث عن ولادة المعجزات، تبدا بالنبوءة التي تسبق ميلاده ، ونتحدث عن أن ثورًا تكلم وتنبأ بميلاد منقذ سوف ينقذ العالم من سيطرة قوى الشر.

كما تذكر بعض الروايات الأخرى إنه ذات يوم، بينما كان والد زرادشت يرعى ماشيته في الحقل، تراءى له شبحان نوريان اقتربا منه، وقدما إليه

([١٦٩]) نفس المرجع: صـ٢٧

([١٧٠]) حواليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الرسالة ١٦٠ ، ٢٠٠١ م ، صـ١٨

([١٧١]) أ.ف.توملين: المرجع السابق، صـ١٤٥.

غصنًا من أغصان نبات "الهوما المقدس"، وأمراه أن يحمل الغصن معه إلى داره ويقدمه لزوجته، لأنه يحمل كيان الطفل الروحاني، وصدع الرجل بالأمر، ومزج الغصن باللبن وشر به هو وزوجته ، فحملت الزوجة وليدًا هو "زارافوشترا" الذي نسميه الآن زرادشت، وبعد خمسة شهور من الحمل، رأت الأم في المنام أن سحابة سوداء أحاطت بيتها، وأن مخلوقات بشعة هبطت عليها من السحابة، فانتزعت الطفل من رحمها وقامت بالقضاء عليه، إلا أنه لم يلبث أن هبط من السماء شعاع نور مزق السحابة السوداء إربا، فاختفت الكائنات البشعة التي ولت هاربة، ثم انبثق من النور شاب يشع منه نور متلألئ، أعاد الطفل إلى بطن أمه وسكن من روعها، وقال لها:**"هذا الطفل عندما يكبر، سيصبح نبى اهورا مزدا"**.[١٧٢] كما روت بعض المصادر أنه قبيل خروج زرادشت للحياة بلحظات، انبثق نور إلهي شديد اللمعان من بيت "بوراشاسب"، فرحت له الطبيعة، ومن حولها، كما سُمع من السماء صوت يبشر بميلاده، في هذا الوقت وفي داخل غرفة الولادة المضاءة بالنور الإلهي خرج الطفل "زرادشت" للحياة وهو يضحك بصوت عالي ومسموع لجميع الحاضرين.[١٧٣]

فرحت الطبيعة بكل ما فيها نتيجة مولده، وفي اللحظة نفسها التى ضحك فيها غالبًا، طوقته الشياطين والسحرة المعادين بكل أنواع الشرور والأخطار،

([١٧٢]) جمشيد يوسفي : الزرادشتية " الديانة الطقوس والتحولات اللاحقة بناء على نصوص الافستا ، ص ص٤٧، ٤٨

([١٧٣]) حواليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، ص ١٧

وكاد الطفل أن يقتل في مهده، حيث حُرق بنار مضطرمة ووطئ حتى كاد أن يموت بقطيع من الأبقار، لكن ثورًا يقود القطيع خرج ووقف فوق الطفل وحماه بالكامل، بعدها نُقل إلى كهف ذئاب قتلت صغارها، وكم كانت بليته عظيمة لو لم تسمح هذه المخلوقات المتوحشة لنعجة أن تدخل وترضعه.[١٧٤]

ولقد ذُكر عنه أنه عندما كان صغيرًا، كان يطيل التطلع وهو ينظر إلى أعلى وإلى أسفل وفي مختلف الجوانب حوله، مثلما كان يفعل بوذا وهو صغير، ولما كان يُسال عما كان يفعله، كان يجيب بأنه كان يرى رؤى المباركين يصعدون إلى السماء والأشرار وهم يهبطون إلى الجحيم، وقد تنبأ في الوقت نفسه بانتشار إنجيل جديد في بقاع الأرض.[١٧٥]

هكذا حفل ميلاد زرادشت بمجموعة ضخمة من الظواهر الخارقة للعادة تصل في أحيان كثيرة إلى ما قبل زواج أبويه، ثم تزداد كثرة وشذوذ قبيل ولادته بأيام قلائل، وقد لعب فيها الخيال الشعبي المفتون بالمعجزات والمبهور بالخوارق دوره بالكامل ، وزادتها الصنعة والتكلف الكريه بعدًا عن كل مألوف ولائق في حق المبعوث أو المرسل الإلهي كما يصفه المجوس، حتى عُدت من صنف الأساطير الشعبية التي عادة ما تشيع وسط العامة إجلالا لشأن الرسول وتعظيمة لقدره.[١٧٦]

([١٧٤]) فراس حواس: موسوعة تاريخ الاديان ، الكتاب الخامس، " الزرادشتية، المانوية، الهودية، المسيحية، الفكر الجديد، ٢٠١٨م، صـ٤٣

([١٧٥]) أ.ف.توملين: فلاسفة الشرق، ص ص ١٤٧،١٤٨.

([١٧٦]) حواليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، صـ١٧

❖ **الرسالة:**

كان زرادشت في العشرين عندما ترك أباه وأمه والزوجة التي اختارها له، وهام على وجهه سعيا وراء أجوبة عن تساؤلاته الكبيرة حول الأصل والمصير ومعنى الحياة والخلاص، وكان كلما صادف شخصًا طرح عليه تلك الأسئلة، عله يجد الجواب الشافي، وقد اختار لنفسه أن يعيش خلوة في جبل أشبدرنهه *Oshidarena* تصفو بها روحه وتتطهر من جميع عقائد الشرك أو السحر، ونسبة الأفعال للكواكب أو المخلوقات [١٧٧]

وتروي الأسفار الزرادشتية أنه حينما بلغ الثلاثين من عمره واتضحت الرؤيا أمامه كان على ضفاف نهر (*DAITI*) وإذ به يحس – فجأة – بنشوة روحانية تغمره وتنتشر في جميع أنحاء جسمه، وتملؤها نورًا وهاجًا، ثم كائنًا نورانيًا يدنو منه وكأنه عمود من نور، حجمه تسعة أمثال حجم الإنسان العادي، يحمل في يده عصا من لهب، ولم يلبث ذلك الكائن أن حلق فوق رأس زرادشت، أخبره أنه كبير الملائكة، جاء ليقوده إلى السماء، ليحظى بشرف المثول بين يدي رب العالمين،.[١٧٨] فصدع زرادشت بالأمر، ولم يلبث أن وجد نفسه بين يدي إله النور، الذي يحيط به ضياء عظيم، وهناك تلقي كليات الحق والحقيقة، وتعلم أسرار الوحي المقدسة، واستمع إلى أمر النبوة ، ثم أفاق من نشوته، وعاد إلى إنسانيته، وقد تكررت معه تلك التجربة الروحانية ثلاث مرات.[١٧٩]

([١٧٧]) جمشيد يوسفي : الزرادشتية " الديانة الطقوس والتحولات اللاحقة بناء على نصوص الافستا " ، صـ٧

([١٧٨]) عبد الله المبلغي العباداني : تأريخ الديانة الزرادشتية ، ترجمة / عبد الستار قاسم كلهور ، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر ، ط١، ٢٠١١ م ، صـ ٤٨

([١٧٩]) محمد ضاهر : الزرادشتية والزيدية تقابل أم تدابر ، صـ ٣٨

بانطواء بلا حدود كان يعيش صوت وصدى أعماله في المشرق كانت تسمع عند سكان الروم واشتهر وذاع صيته اصبح رجلًا يخاف الله و قضى عشرون عاما " في البراري وماعدا الجبن لم يأكل شيئا " آخر وعندما بلغ الثلاثين من عمره اتضح أمام ناظريه شتى الأشياء.[١٨٠]

❖ **انتشار الرسالة:**

قضى زرادشت عشر سنين يطوف فيها بلادان إيران محاولًا نشر دعوته ورسالته إلى الناس فلم يقبل أهل إيران رسالته التوحيدية؛ لأنهم كانوا قد انغمسوا واعتادوا على عبادة الآلهة الآرية المتعددة و أصنامها والتي يعدونها آلهة حقيقية لكونها ملموسة بين أيديهم، بينما الخير والشر وآلهتهما لا يمكن رؤيتها أو سماعها وحتى لمسها، لذا؛ فقد رفضوا دعوة زرادشت، وأنكروا عليه أمره، وطردوه من مسقط رأسه، وأعلنوا الحرب على شخصه ودعوته ، وحتى أسرة زرادشت نفسها لم تؤمن بالتعاليم التي جاء بها.[١٨١]

هكذا واجه زرادشت اخفاقًا كبيرًا على الصعيد الخارجي، إذ لم يجتمع حوله أيًا من الأتباع، الأمر الذي جعل الأروح الشريرة تحاول أن تثنيه عن مهمته، طالبة منه أن يطرح جانبة ذلك الدين الذي يقوم على عبادة مزدا، ولكن زرادشت رفض الرضوخ لها، مؤكدًا بأنه لن يتخلى عن الدين القويم حتى وإن تقطع جسده عضوا عضوا .[١٨٢]

([١٨٠]) عبد الله المبلغي العباداني : المرجع السابق ،صـ٤٨.

([١٨١]) محمد ضاهر : المرجع السابق ، ص ص٣٩-٤٠

([١٨٢]) جمشيد يوسفي : المرجع السابق ، ص ٢٨

وفي السنة الحادية عشر بعد نبوته أى حينما جاوز الأربعين من عمره بدت في أفقه طلائع النجاح ، فآمن به ابن عمه، وناصره في دعوته ووقف معه في وجه أعدائه.[١٨٣]

بعد أن فشل زرادشت في دفع أبناء قومه إلى اعتناق ديانته ، وتلقيه المعاملة السيئة منهم، أمره الإله بأن يذهب إلى"كشتاسب" ملك إيران حينئذ ليبلغه رسالة ربه لعله يدخل في دينه، وفي الطريق أثناء مروره متوجها نحو "كشتاسب"، يمر بمدينتين، ويدعو حكامهما إلى اعتناق دينه، دين الحق ولكنهما يرفضان، ويطردانه من مملكتيهما فيدعو زرادشت ربه كي يعاقبهما على فعلتهما وإساءتهما إليه، حينئذ تهب أعاصير شديدة تؤدي إلى الدمار والخراب، وترفع الحاكمين نحو عنان السماء حيث يبقيان معلقين ما بين السماء والأرض، فتنهش الطيور الجارحة أجسادهما، ويسقطان على الأرض عظامة.[١٨٤]

توجه زرادشت إلى "كشتاسب"، وعند أبواب القصر ظهر زرادشت و تراب السفر لا يزال يغطي قدميه، وقال لحارس الباب: اذهب إلى الملك، وأخبره أني زرادشت سبنتاما نبي الإله الواحد الحكيم قد جئت لأراه وأعلمه طريقي الخير والشر، وانفجر حارس الباب ضاحكا ... فيما كانت هيئة الرجل الذي يقف أمامه لتوحي بأكثر من أنه متسول حقير.[١٨٥] لحق زرادشت بالملك،

([١٨٣]) نفس المرجع: ص٥٢، ٥٣

([١٨٤]) نفس المرجع: ص ص٥٣،٥٤

([١٨٥]) محمد ضاهر : الزرادشتية والزيدية تقابل أم تدابر، صـ٤٠

وهو خارج إلى الصيد في حدائقه مع أعوانه وحاشيته وفي الحقول يتوجه نحو الملك، حاملًا في يده كرة نارية، دون أن تحرق جسده يلعب بها كانها كرة عادية لا تؤثر عليه، فيثير هذا الوضع اهتمام الملك، ويسأله عن هويته وقومه وحاجته، يخبره زرادشت عن نفسه وعن الرسالة التي حمله إياها "اهورا مزدا"، يدعوه الملك إلى قصره، ويطلب منه الدخول في مناظرة مع العلماء وكهان قصره يغلبهم زرادشت، مبديًا سعة اطلاع، وذكاء خارقة، وفكرًا عميقًا، وقدره على الإحاطة بكل شيء، ويكون نجاحه في تلك المناظرة والتأثير العميق الذي خلفه لدى الملك، سببًا في انضمامه إلى حاشية الملك، وفيما بعد يصبح أحد المقربين، وصديقًا للملك، ويفرد له الملك جناحا خاصا في قصره ويستشيره في كافة شوؤنه، على الرغم من عدم اعتناقه لدينه.[١٨٦]

إن نيل زرادشت تلك المكانة المرقومة لدى الملك، أثار حقد حاشية الملك والعلماء والكهان المحيطين به ودفعهم ذلك إلى تدبير مكيدة توقع به، وتثير غضب وحنق الملك عليه، فقد قاموا برشوة خادم جناح زرادشت، كي يضع فيه أدوات ووسائل كان السحرة يستخدمونها في السحر حينذاك مثل أعضاء الحيوانات والشعر والأظافر....وغيرها، ثم يقومون بالوشاية به عند الملك، ويخبرونه بأن زرادشت ليس إلا ساحرًا يدعي النبوة بغية خداع الملك ونيل الحظوة لديه، وعندما يعلم الملك بالأمر، ويكشف أدوات السحر في جناح زرادشت، يغضب الملك غضبا شديدًا، ويأمر بسجن النبي وكان" جاماسبا "، وزير الملك، مناصرة الزرادشت، معتنقًا لدينه، قد حاول كثيرة أن

([١٨٦]) جمشيد يوسفي : الزرادشتية " الديانة الطقوس والتحولات اللاحقة بناء على نصوص الافستا " ، ص ص٥٣ ،٥٤.

ينقذ زرادشت من تلك التهمة، ويحرره من سجنه، عبر تدخله لدى الملك، دون جدوى، ولكن الفشل لم يستمر طويلًا، إذ حانت الفرصة المناسبة، فقد مرض جواد الملك المدلل لديه والذي تعلق به تعلقة شديدًا، فرأى الوزير الفرصة سانحة لإنقاذ زرادشت، فزرادشت إن كان نبيًا بالفعل، سيستطيع أن ينقذ الجواد، ويكون ذلك محكمًا لمصداقية قوله، يطرح الوزير الأمر على زرادشت وهو في سجنه، يوافق زرادشت على الأمر بشروط محددة وهي أربعة شروط:

أولا: أن يعتنق الملك وزوجته دين الحق.

ثانيًا: أن يعلن الحرب على الطورانيين

ثالثًا: أن يكون ولي العهد على رأس جيشه يقاتل من أجل نصرة الدين

رابعًا: أن يقوم الملك بمعاقبة الذين حاكوا المؤامرة ضده وأدوا به إلى السجن.

فقبل الملك شروطه، وكان كلما توجه زرادشت بالدعا إلى ربه فتخرج إحدى قوائم الجواد من بطنه، وهكذا حتى خرجت قوائمه كلها، وعاد كأن لم يكن قد أصابه شيء من قبل.[١٨٧]

❖ وفاة زرادشت:

حسب الروايات الزرادشتية، فإن زرادشت قد قتل عن ٧٧ سنة من قبل الطوراني "پراتفاركش" في معبد للنار في بلخ (*Bratvarkesh*) عندما كان

([١٨٧]) فراس حواس: موسوعة تاريخ الاديان، الكتاب الخامس، " الزرادشتية، المانوية، الهودية، المسيحية، صـ٤٤

يصلي أمام النار، وذلك عندما شن الطورانيون هجومًا على الزرادشتيين للقضاء على الديانة الجديدة التي انتشرت انتشارًا واسعًا، ولقد ذكرت بعض المصادر المتاخرة أن القتلة الذين أنهوا حياة زرادشت مع ثمانين من مريديه وأتباعه، كانوا مختبئين على شكل ذئاب، ولقد عبرت تلك الخرافة بروعة عن دلالة القدر لزرادشت، لأن الذئاب كانت "أعضاء الجماعات البشرية" التي وصفت بالعار من قبل النبي بكل جرأة، وقد طالت الحرب بين أنصار الزرادشتية والطورانيين وهي"قبائل وحشية من الآريين" وانتهت بانتصار ساحق للزرادشتيين، وانتشرت الزرادشتية في كل الجهات إلا أنها فشلت في الغرب وهي مسقط رأس زرادشت وربما يمكننا أن نعزو ذلك إلى البنية الاقتصادية الاجتماعية، وإلى تجذر العقائد القديمة في تلك المنطقة.[١٨٨]

مات زرادشت في غمار حياة ممتلئة بالتحديات والمشقات لأجل أداء مهمته، ولم يتوان في العطاء والمجاهدة في سبيل دعوته، مات وهو يناهز من العمر قرابة سبعة وسبعين عامًا، وهو مدفون في مدينة "رستم" الإيرانية، ولقد انتقم الملك لمقتله بعد ذلك، وانتصر على التورانيين، ولم يقبل منهم صلح، حتى وعدوه باعتناق الزرادشتية.[١٨٩]

❖ **المصادر:**

ظهرت هذه الديانة في إيران على يد زرادشت الذي تذهب معظم الروايات إلى أنه ولد عام ٦٦٠ قبل الميلاد ، فيما تذهب روايات أخرى إلى أنه عاش نحو العام الألف قبل الميلاد، والمصدر الأصلي الوحيد لحياته وفكره هو كتاب الزرادشتيين المقدس، واسمه الأفستا، (*Avesta*)، الذي يرجح

([١٨٨]) جمشيد يوسفي : المرجع السابق، صـ٥٦

([١٨٩]) محمد ضاهر : الزرادشتية واليزيدية تقابل ام تدابر، صـ٣١

أنه البقية الباقية من مجموعة أكبر لم يبلغنا منها سوى هذه الشذرات.[١٩٠] فلسوء الحظ فإن الأفستا لم تنج من عاديات الزمن، فكل ما تبقى منها هو أناشيد زرادشت، والغائا، بالإضافة إلى النصوص الطقسية الدينية(الياشا وفيندبداد) وأناشيد أخرى (الياشت) وابتهالات، وقد ظهرت في القرن التاسع الميلادي بعض الكتب الزرادشتية التي تدافع عن الديانة الزرادشتية ضد الدعاية المسيحية والإسلامية، وتشرح الديانة للعامية، كتبت هذه الكتب باللغة البارثية الوسطية أو البهلوية، وكانت عبارة عن مقتطفات وملخصات وتعليقات على الأفستا، وأصبحت هذه الكتب هي ما يحفظ المعتقدات القديمة، ويضاف إلى ذلك الفلكلور والنقوش الكتابية والعملات وتقارير الرحالة الأجانب، ديانة الزرادشتين الجدد، كل ذلك أضاف إلى معارفنا بديانة إيران.[١٩١]

❖ **التعبير الشكلي للإيمان الزرادشتي:**

للزرادشتية مجموعة من الرموز التى تذكرهم بدينه كجزء من زيهم الرسمي:

- **الرمز الأول: الكوشتي (الحزام المقدس)**

وهو خيط مقدس مربوط به اثنان وسبعون خيطا (ترمز إلى فصول اليسنا وهي أسفار التسابيح والعبادة)، يربط ويفك هذا الحزام عدة مرات يومية تعبيرا عن ثبات العزيمة أخلاقية ودينية.[١٩٢]

---

(١٩٠) جمشيد يوسفي : الزرادشتية " الديانة الطقوس والتحولات اللاحقة بناء على نصوص الافستا " ، صـ٧

(١٩١) فراس حواس: المرجع السابق، صـ١٣

(١٩٢) د.خليل عبد الرحمن: أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، روافد للثقافة والفنون، ط٢، دمشق، ٢٠٠٨، صـ٣٤

- **الرمز الثاني:(القميص)**

هو ملبس يرمز إلى الدين نفسه، يرتديه الزرادشتيون منذ سن البلوغ، ويلبس الكهنة أردية بيضاء مع عمامات وأقنعة فوق أفواههم أثناء القيام بطقوس النار المقدسة ليتجنبوا تدنيسها بنفس زفيرهم.

وهناك صلوات بعدد أقسام اليوم الخمسة، وهي الصبح والظهر والعصر والمغرب ومنتصف الليل، وهناك احتفالات بالأحداث المهمة في الحياة، مثل الولادة وسن البلوغ والزواج والحمل والموت.

ولما كان الموت من عمل الشيطان، لذلك فإن الجثة هي مسكن الشياطين، وكلما زاد صلاح المتوفى زادت قوة الفعل الشيطاني، وإذا ما أحرقت الجثة أو دفنت فإنها سوف تدنس العناصر، لذلك فإن الجثث توضع في "أبراج الصمت" لتفترسها الطيور الجارحة، ولا بد أن يخضع المرء لطقس تطهيري قبل أي صلاة، ويتم الاعتراف بالذنوب التي ارتكبت بالفكر أو القول أو الفعل، وهناك شعيرتان رئيستان : طقوس النار وقربان الهوما، فالنار رمز " اهورا مزدا"، ولا بد أن يتم الطقس بعيدًا عن أي دنس، بحيث لا تظهر النار للشمس أو لأي عيون غير مؤمنة، وتحفظ النار في معبد النار، ويوجد عدة أشكال للنار المقدسة، ويقوم بخدمتها كهنة مختصون على الدوام وعن طيب خاطر، فالنار الأولى هي "بهرام" أو ملك النيران، التي تأتي في أرفع منزلة . وعندما يزور البارسيون النار، فإنهم يفركون جباههم برمادها رمزا للتواضع والتساوي وكمصدر للقوة، أما طقوس القربان (الهوما) فالهوما هو

نبات بدون أوراق، وثمره يشبه عنب الثعلب، وهو سمي أي مسمم، ولكنه أكثر من أن يكون نبات فهو الإله "هوما" على الأرض.[١٩٣]

(١٩٣) فراس حواس : موسوعة تاريخ الأديان ، الكتاب الخامس ، " الزرادشتية ، المانوية ، الهودية ، المسيحية، ص ص١٦-١٧

الفصل السادس

الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية " الأبستاق"

الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية

"الابستاق"

يطلق على الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية اسم "الأبستاق" وهو تعريب لكلمة الأفستا*avesta* (ومعناها الأساس أو الأصل أو المتن أو السند)، والمقرر في هذه الديانة أن الأبستاق موحى به من الإله المسمى عندهم"أهورا مزدا" وليس من وضع زرادشت .

ويشتمل الأفستا على واحد وعشرين سفر، ويبلغ مجموع الفصول التي تشتمل عليها هذه الأسفار ألف فصل، ويحوي الأفستا تفصيلًا لعقائد الديانة الزرادشتية وعباداتها وشرائعها وتاريخها وما اجتازته من مراحل، وتاريخ نبيها زرادشت من قبل رسالته ومن بعدها.[١٩٤] فهو يمثل صفحة مشرقة في تاريخ تطور الأديان والثقافة الإنسانية، وأحد المصادر المكتوبة المسجلة في تاريخ الحضارة البشرية، التي تناقلتها الأجيال عبر آلاف السنين "شفاهة وكتابة"، غني بالأساطير الجميلة، مفعمة بحب الخير والكفاح من أجله، والإيمان بنصره على قوى الشر، كما أنه متخم بالتغني بالصدق والحقيقة ، فالحقيقة فيها أفضل الخيرات .[١٩٥]

يتجاوز عمر الأفستا ثلاثة آلاف سنة، فهو موسوعة الحضارة، الثقافة، الأخلاق والأنثروبولوجيا للشعوب الآرية، بل إنه شاهد على عظمة روح

---

(١٩٤) جمشيد يوسفي : الزرادشتية " الديانة الطقوس والتحولات اللاحقة بناء على نصوص الافستا " ، صـ ١١

(١٩٥) د.خليل عبد الرحمن: أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، صـ ٧

وثقافة الشعوب الآرية؛ حيث يمثل أقدم وثيقة تاريخية، ثقافية، دينية وقانونية مكتوبة تعكس المراسم والطقوس الدينية، الأفكار الفلسفية، الأخلاق، علم الفقه، شرائع الطب والفلك في المجتمع البدائي الإيراني .[١٩٦]

ذُكر عنه أنه سجل على أثنى عشر ألف من جلود الثيران و كتب بالذهب الخالص، فيه صلاة ومناجاة، ووعد ووعيد، وأمر ونهي وغير ذلك من الشرائع والعبادات. [١٩٧]

وحسب المصادر التاريخية يظهر أن الزرادشتية تعرضت لحادث عنيف في تاريخها على يدي الإسكندر المقدوني، عندما انتصر على الفرس عام ٣٣٠ ق.م.[١٩٨] فاستعمر البلاد، وأحرق المدن، واتلف الكتب، فُفقدت تبعًا لذلك الكتب الدينة الموجودة آنذاك.[١٩٩] وعلى الرغم من ذلك إن الفارسيين – بطريقة سرية خفية – ثبتوا على ما هم عليه من العقائد، وعلموها أبناءهم.[٢٠٠] حتى قام المزديون"كبار رجال الدين عند الفرس" مرة أخرى بجمع ما وجدوه من روايات تناقلها الناس من كتاب الأفستا المنسوب إلى زرادشت، وعدوه كتابهم المقدس.[٢٠١] وهذا ما فتح الباب للكثير من التقاليد المعروفة الأمم الأخرى للتسربت والدخول والاختلاط بالنصوص الزرادشتية.[٢٠٢]

([١٩٦]) نفس المرجع: صـ٧.

([١٩٧]) محمد ضاهر : الزرادشتية واليزيدية تقابل أم تدابر ، صـ.١٠١

([١٩٨]) نفس المرجع: ص ص ١٠٤–١٠٥.

([١٩٩]) عبد الله مبلغي : تاريخ الديانة الزرادشتية ، ص ص٦٦–٦٧ .

([٢٠٠]) محمد ضاهر : المرجع السابق، ص ص ١٠٤– ١٠٥.

([٢٠١]) نفس المرجع: ص ص ١٠٤–١٠٥.

([٢٠٢]) عبد الله مبلغي : تاريخ الديانة الزرادشتية ، ص ص٦٦–٦٧.

❖ **أسفار الأبستاق:**

للأبستاق عدة أسفار هي:

١. سفر اليسنا *yasan* **(ومعناها العبادة أو التسبيح)**

ويشتمل على أدعية وصلوات كان يتجه به إلى "أهورامزدا" والملائكة المقدسة.[٢٠٣] ويعني النشيد، وهذا القسم من أشهر أقسام الآفستا ، ويضم أدعية و معارف دينية، وينسب هذا القسم إلى زرادشت نفسه.[٢٠٤]

٢. سفر الوسبرد" أو " الفسبرد *Visperd*

ويشتمل على أدعية وصلوات مكملة لما في اليسنا، وترتل في مناسبات خاصة.[٢٠٥]

٣. اليشتات (أى الترنيمات أو المزامير *Yashts*)

هي عدد من الأناشيد و الأدعية والترانيم التى تتلى في مدح الملائكة المشرفون على مجريات الأيام.[٢٠٦] وهي عبارة عن إحدى وعشرون ترنيمة، كل ترنيمة تتحدث عن وصف إحدى الملائكة، و كل ترنيمة تقرأ في الأوقات المناسبة لها من الشهر أى في اليوم المخصص لها، فقد كانوا يعتقدون بأن لكل يوم من أيام الشهر حاميًا وحارسًا من الملائكة.[٢٠٧]

يقول بعض المختصينبأن اليشتات كانت منظمة تنظيما " بصياغة شعرية ولم تكن بهذا العدد وفي النهاية أضيف اليها العديد من المواضيع

---

(٢٠٣) نفس المرجع: صـ٥٤

(٢٠٤) محمد ضاهر : المرجع السابق ، صـ ١٠٦ .

(٢٠٥) نفس المرجع: صـ ١٠٦ .

(٢٠٦) عبد الله مبلغي : تاريخ الديانة الزرادشتية ، صـ٥٨

(٢٠٧) نفس المرجع: صـ٥٤

وخرجت من وزنها الشعري واليشتات الباقية الى يومنا هذا تشتمل على إحدى وعشرون ترنيمة.[٢٠٨]

٤.الوانديداد أو الفانديداد أى القانون المضاد للشياطين.

هو أحد الأقسام المهمة وأساس للأفستا، ويعني القانون أو الدستور، ويشمل على آداب، دستور، مذهب، أحكام وعقوبات في الدنيا والآخرة، يأخذ في الاعتبار أحكام العقوبات ضد المذنبين، كما يعرض للمكافأة و أجور الأعمال الصالحة، فالونديداد، كتاب فقهي، قانوني، يتألف من أثنين وعشرون فصلًا.[٢٠٩]

٥. الخوردة أفستا أى الأبستاق الصغير.

وهو القسم الخامس والذي جمع وكتب في العصر الساساني، ويتألف من أدعية وصلوات ومناجات في الأوقات اليومية المختلفة، والأعياء الدينية ومراسيم الزواج والموت والأيام السعيدة والأيام المأساوية وكفارة الذنوب.[٢١٠]

❖ شروح الأبستاق:

ترجع شروح الأبستاق إلى ثلاثة مجموعات يطلق عليها"الزند *zand*، والبازند *Pa-zend* والاياردة، وقد فقد معظمها ولم يصل لنا منها إلا القليل:

١. الزند :

وهو الشرح المباشر لكتاب زرادشت" الأبستاق"، دون باللغة الفهلوية" العامية" (وهي اللغة الفارسية في مراحلها الوسطي، وتختلف عن اللغة التى

---

(٢٠٨) نفس المرجع: صـ٥٤

(٢٠٩) نفس المرجع: ص٦٧-٦٨

(٢١٠) نفس المرجع: صـ٧٢

دون بها الأبستاق وهى اللغة الفارسية في مراحلها القديمة) في العصر الساساني.[٢١١]

٢. البازند:

وهو عبارة عن شرح للزند، وقد سمي "بازند " يعني تفسير التفسير، وفيه علوم مختلفة كالرياضيات وأحكام النجوم والطب وغير ذلك من أخبار القرون الماضية.[٢١٢]

٣. الايارِدة:

فهو شرح لشرح الشرح وتفسير لتفسير التفسير، وقد كان من عمل العلماء الزرادشتيين الذين جاءوا بعد وفاة زرادشت.

❖ **العقيدة الزرادشتية:**

تعد الديانة الزرادشتية في أصلها ديانة توحيد تدعوا إلى عبادة الإله الواحد " أهورامزدا" وتصفه بالعظمة والقدسية، فلا ند له ولا شبيه له، ولا يمكن أن يصور في تماثيل من الخشب أو الحجر.[٢١٣] لذا فقد حارب زرادشت عبادة الأصنام والأوثان ودعى إلى عبادة " أهورامزدا" الذي تخيله مستويًا على عرش النور محفوفًا بستة من الملائكة الأبرار.[٢١٤] وقد ظهر ذلك بشكل واضح في كلمة "أهورا" والتى تعني "الرب أو السيد"، وكلمة "مزدا" والتى تعني الحكيم أو تمام النور.[٢١٥]

([٢١١]) نفس المرجع: ص ٦٠

([٢١٢]) محمد ضاهر : الزرادشتية واليزيدية تقابل أم تدابر ، ص ١٠٢

([٢١٣]) فراس حواس : موسوعة تاريخ الأديان ، الكتاب الخامس ، " الزرادشتية، المانوية ، الهودية ، المسيحية ، ص ص ٤٥ ،٤٤

([٢١٤]) عباس محمود العقاد: الله، نهضة مصر، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٥، صـ٦١.

([٢١٥]) فراس حواس : المرجع السابق، صـ٣٤

إلا أنه بعد موت زرادشت، لم يبق الطابع الموحد لتعليمه على صفائه وبساطته البدئيين، فبعض الموجودات الطبيعية التي اعتبرها من مخلوقات " أهورامزدا" وترمز فقط إلى عظمة الرب وقدرته، قد أصبحت تدريجيًا في نظر أتباعه مخلوقات جديرة بالعبادة لذاتها، وشاع الاعتقاد بأن كل مظهر من مظاهر الخلق كانت تحكمه روح خاصة به، وقد ظلت تلك الفكرة على الدوام غريبة عن العقائد التي بشر بها زرادشت.[٢١٦]

لقد دخل الزرادشتية فيما بعد كثير من التحريف والتبديل، حتى انتهى بها الأمر في عصورها المتأخرة إلى أن أصبحت ديانة ثنائية أو مثنوية تقول بوجود إلهيين: أحدهما هو " أهورا مزدا" إله الخير و" أهريمان" إله الشر، وكلاهما متوازيان، متساويان في القوة، يقف كلًا منها ضد الآخر .[٢١٧]

هكذا تحول التوحيد إلى التعدد بعد وفاة زرادشت، وهذه حقيقة متكررة وشائعة في تاريخ الأديان، فكل إصلاح عادة يعقبه نكوص فيحصل ارتداد عن الأفكار السامية والأفعال النبيلة إلى حالة من التوفيق المريح للعقيدة مع سبل العامة.[٢١٨] وهذا ما حدث في الديانة الزرادشتية فقد تطورت عقيدة الشر بشكل متزايد واقتربت من ثنوية أخلاقية كاملة تقريبًا، فكما وجدت ملائكة الخير فإن الأرواح الشريرة غدت أكثر تشخيصًا مما كانت عليه أيام

([٢١٦]) جمشيد يوسفي : الزرادشتية " الديانة الطقوس والتحولات اللاحقة بناء على نصوص الافستا "، صـ١٤٦

([٢١٧]) عبد الله مبلغي : تاريخ الديانة الزرادشتية ، ص٥٤-٥٥

([٢١٨]) فراس حواس : موسوعة تاريخ الأديان ، الكتاب الخامس ، " الزرادشتية ، المانوية ، الهودية ، المسيحية، صـ٤٧

زرادشت، وقد أصبح "أهريمان" معارضًا "لأهورامزدا"، وقد صار نظيرًا له مساويًا له في القوة.[٢١٩]

ولقد جاء في بعض الترنيمة الزرادشتية ما يدل على أن القول بوجود إلهين في الديانة الزرادشتية يعد أمرًا مبتدعًا ودخيلًا من قبل البعض ممن ادعو بأنهم من أتباع زرادشت لكنهم محرفون، جاءوا بأمر زرادشت منه بريء، فزرادشت يذكر بلفظ صريح، إعلانة على وحدانية الرب الحكيم فيقول:

" أنا أعلم أنك الحق، وأنك مع العقل النير، هكذا أراك، وأرى – أيضًا – أن الرب الحكيم بالغ العظمة له العرش والقصاص، بهذا القول من أفواهنا سنحول البشر من فرائس للشر إلى كائنات عظيمة"

وإثباتا لوحدانية الله – عز وجل – يقول زرادشت:

"إني لأدرك أنك وحدك الإله، وأنت الأحد الأوحد، وإني من صحة إدراكي هذا أوقن تمام اليقين من أنك أنت الإله الأوحد"،

هكذا يمجد زرادشت ويوحد الإله الأوحد، ويدعو إلى تفرده في العبادة، والخضوع له، ووجود إلهين هو حشو وتزييف للحقيقة لا يمت لدين زرادشت بأي صلة.[٢٢٠]

أما عن قوله بوجود صراع بين الخير والشر والظلمة والنور كما الليل يصارع النهار، فهذا صحيح، ومن بدهيات الكون والحياة وإلى قيام الساعة،

([٢١٩]) نفس المرجع: صـ٤٨.

([٢٢٠]) محمد ضاهر : الزرادشتية واليزيدية تقابل أم تدابر ، ص ص ١٠٧،١٠٨

كما أنه لم يدع إلى تقديس وتأليه النار كما هو عليه المجوس، ولا إلى عبادتها من باب أولى، كما لم يرد ذكر للنار في هذه الترنيمات، ولا غيرها، وأكبر برهان على هذا أن زرادشت لم ينشأ ولم يعين بيوتًا للنيران، وإن أحدث أتباعه من بعده بيوتًا ومعابدًا لها، وقد حدث هذا بعد وفاة زرادشت بمئات السنين.[٢٢١] أما زرادشت فقد نظر إلى النار على أنها هبة من الإله "أهورا مزدا" إلى البشرية، لكنه لم يعبدها كما فعل أسلافه أو كما فعل بعض من أتباعه فيما بعد، لقد كانت النار بالنسبة له رمزًا لأهورا مزدا، ليس أكثر، والتي من خلالها أمكنه إدراك طبيعة وجوهر الرب الحكيم.[٢٢٢] فهي مجرد رمز دعى زرادشت أتباعه لتأمله حتى يدركوا عظمة الإله في خلقه، ولكن الأتباع الذين كانوا يؤمنون به ايمانًا متزعزعًا بدلوا مابدلوا ، وحرفوا ما حرفوا، وأدخلوا في دينهم كل تاقت إليه أنفسهم وأهواؤهم.[٢٢٣]

لذا فقد حرصت الزرادشتية فيما بعد على أن يوقد في كل معبد من معابدهم شعلة من النار، وأن تظل هذه الشعلة متوهجة مضيئة، كما كانوا يرقصون حول النار في المناسبات الدينية، وكانوا يجعلوا للنار كهنة ويطلقوا عليهم اسم "موقدي النار"، وأهم واجباتهم ابقاء النار مشتعلة بصورة مستمرة، لذا فقد كانوا يأتون إلى الهياكل خمس مرات يوميا؛ ليقدموا الوقود إلى النار، من خشب الصندل وغيره من المواد العطرية، فتنتشر في الهيكل رائحتها

([٢٢١]) نفس المرجع: ص ص ١٠٧-١٠٨

([٢٢٢]) فراس حواس : موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، " الزرادشتية، المانوية، الهودية، المسيحية ، ص ص ٣٥ : ٣٩

([٢٢٣]) محمد ضاهر : المرجع السابق ، صـ١٦٩ .

الزكية، وفي كل مرة يتلو الكاهن عبارات دينية، يدعو بها الناس إلى التأمل في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح وهي جواهر الزرادشتية الثلاثة التي تضمن كثيرًا من الفضائل والأدب.[٢٢٤]

هكذا بالغ الزرادشتيون في تقديس النار وقد كان يشاركها في هذا التقديس ثلاث عناصر أخرى من عناصر أخرى من العناصر الأرضية وهي" الماء والتراب والهواء"، لذا فقد كان أحد المبادىء الأساسية في الديانة الزرادشتية هي حفظتلك العناصر دون أن يمسها دنس أو نجاسة.[٢٢٥] ولما كانت الأجساد بعد مفارقتها للروح تتحول إلى رجس ونجاسة، فالمحافظة على نقاء وطهارة الأرض يتطلب منهم عدم دفن جثث موتاهم فيها.[٢٢٦]

ولما كان المطلوب أن يوضع جثمان المتوفي بعد صعود الروح، بما يقتضية من التوقير، ولكن بحيث لا يلوث أحد العناصر الأربعة، أو يؤذي الأحياء، ولهذا، فإن المؤمنين لا يحرقون موتاهم، ولا يدفنونهم، ولا يغرقونهم، بل يجعلون الجثة على قمة ربوة عالية، عرضة لحر الشمس، حتى تنهشها الجوارح، لذا فقد أقاموا لجثث الموتى أبراج منعزلة عالية الجدران لا سقف لها تسمى" أبراج الصمت"، وكل من يلمس جثة ميت يعد ملوثًا ولا يطهر إلا بعد طقوس دينية معقدة، بل إن نجاسته هذه كانت تنتقل إلى كثير من المجاورين له وإلى غيرهم.[٢٢٧] حتى أنه إذا ما مات أحد بين مجموعة ووهو

([٢٢٤]) جمشيد يوسفي : الزرادشتية " الديانة الطقوس والتحولات اللاحقة بناء على نصوص الافستا " ، صـ١٧٥

([٢٢٥]) نفس المرجع: صـ١٧٨

([٢٢٦]) محمد ضاهر : الزرادشتية واليزيدية تقابل ام تدابر ، صـ١٥٣.

([٢٢٧]) جمشيد يوسفي : المرجع السابق، صـ١٧٨

نائم فأنه بدنس الآخرين حوله وإذا نفق كلب بين قطيع من الأغنام لإغن ذلك يدنس الآخرين حتى ثمانية خراف، وإذا وضعت امرأة طفلًا " ميتًا " فيجب أن يكون مكانها بعيدًا " بثلاثة أقدام من الماء و النار وعن الرجل المقدس، كما يتم عزلها واحضار الملابس والطعام لها بمفردها، ولا ينتهي ذلك حتى تتطهر بمجموعة من الطقوس.[٢٢٨]

أحد أبراج الصمت الواقعة خارج مدينة " يزد " الإيرانية

(٢٢٨) عبد الله مبلغي : تاريخ الديانة الزرادشتية ، ص ٦٩

أحد أبراج الصمت الزرادشتية

أحد أبراج الصمت يعلو الهضبة

لذا فقد كان يُطلب من الزرادشتين أن تكون ملامستهم للجثة على أقل ما تكون، وبعد الوفاة كانوا يسارعون إلى تغسيل الميت، ويكفنونه بثياب نظيفة، ثم يتلون عليه الصلاة وهم يلفون حوله الخيط المقدس، ويضعونه على الأرض في زاوية أمامية من الحجرة، لكي ترش عليه كمية من الرمل، أو شذرات من التراب الجاف، وتغطى الرأس وتشبك يدا المتوفى على صدره، ويمنع الأحياء من الاقتراب منه، ثم يحملون إلى حجرة الميت وعاء فيه نار مشتعلة، ويذكونها بخشب الصندل والبخور، ويجلس أمام النار كاهن يداوم على تلاوة نصوص من الأفستا حتى تحمل الجثة إلى البرج، ويمكن لموكب الجنازة أن يسير إلى البرج في أي ساعة من ساعات النهار، ولكنه لا يكون ليلًا على الإطلاق، لأنه ينبغي تعريض الجثة إلى الشمس، وقبل حوالي الساعة من موكب الجنازة، يدخل الحمالين على الجثة وهم يرتدون الملابس البيضاء، ويكون مع الحمالين نعش من الحديد وليس سواه، لنقل الجثمان، ويمنع استعمال الخشب قطعًا في مراسم الجنازة، لأنه ناقل لجراثيم المرض، ثم يغطي الحمالون وجه المتوفي بقطعة قماش، ويضعون الجثة في النعش بواسطة سير من القماش، وينقلون النعش إلى الخارج، ويسلمونه إلى فريق آخر من الحمالين المكلفين بنقل النعش على أكتافهم حتى البرج، حينما يصل الموكب إلى غايته، يجعل النعش على الأرض، خارج البرج، ويغطي الحمالون وجوههم، ويقدم الحاضرون واجب الاحترام للمتوفي بأن يلقوا عليه نظرة أخيرة من مسافة لا تنقص عن ثلاث خطوات.[٢٢٩]

([٢٢٩]) جمشيد يوسفي : الزرادشتية " الديانة الطقوس والتحولات اللاحقة بناء على نصوص الافستا " ، صـ١٧٨

❖ **العالم عند الزرادشتية:**

إن تاريخ العالم هو تاريخ صراع الإله مع الشيطان، وهو مقسم إلى أربع مراحل، كل مرحلة مدتها ثلاثة آلاف سنة، في المرحلتين الأولى والثانية يجهز كل من الإله والشيطان قواهما، ويدخلان في المرحلة الثالثة في صراع، حيث يُهزم الشيطان في النهاية، لقد اخترق الشيطان حاجز السماء في بداية الخلق، وتسلط على الإنسان الأول والحيوان الأول بالمرض والموت، فهو لا يقدر إلا على القيام بالأفعال الهدامة، ولكن في لحظة انتصاره الظاهري تنبعث من الإنسان والحيوان بذور تؤدي إلى ظهور الحياة البشرية والنباتية، وحيث إن الحياة خرجت من موتها ، فإن ديمومة الخلق الخير وهزيمة الشيطان شيء مؤكد لا محالة، فالعالم في الزرادشتية ينتمي للخالق ذاته، لذلك فإن الزرادشتيين، بعكس بعض الأديان الأخرى، لا يعتقدون أن المادة شر، فالشيطان، وليس البشر، هو من طبيعة مغايرة للعالم المادي، إنه لا يستطيع أن يأخذ شكلا جسديا، ولكن يبقى في العالم على شكل طفيلي يحاول عبثًا تدمير عمل الإله.[٢٣٠]

❖ **الرجال والنساء في العالم:**

لقد كان الزواج في الزرادشتية من الأعمال المستحسنة، التى دعى لها زرادشت، بل لقد أوصي بضرورة أن يساعد الزرادشتين أبناء دينهم لكي

([٢٣٠]) فراس حواس : موسوعة تاريخ الأديان ، الكتاب الخامس ، " الزرادشتية ، المانوية ، الهودية ، المسيحية ، صـ١٥

يجدوا أزواجهم التي يريدونها ويرتبطوا بها ويتلاحموا معها، ولقد جاء في وندیداد:

" إن جاء أحد من دياتكم أو أخ أو صديق إليكم ساعدوه في عقد الارتباط الزوجي ولا تدخروا جهدًا حتى يجد زوجًا ويقيم الارتباط الزوجي" . (٢٣١)

لم يفرق الزرادشتيون ما بين الروح والجسد، حيث تشكل كل من الروح والجسد عندهم وحدة واحدة، لذا فقد كان الانسحاب من العالم الذي يفعله الرهبان ما هو في رأيهم إلا رفضًا لعالم الإله، فالزهد خطيئة كبرى كما التمادي في الشهوات، وعلى الرجال واجب ديني في أن يتخذوا زوجات وينجبوا أطفالًا، وبهذا يقوى الدين الصالح.(٢٣٢) فالزواج هو والرباط الذي يجعل المرأة والرجل ينتميان إلى بعضهم البعض، وهذا ما يزيد من قدرتهما في البناء وتطور الخليقة ويزيد من سعادتهما وأفراحهما، وأساس الزواج عند الزرادشتين يجب أن يكون مبنيًا على العقل، الحب، التعاون، بعيدًا عن الجهل، الهوس، الأنانية والتدمير، إنه عمل صالح وجدير بالمديح وهذا ما جاء في الأدبيات المذهبية من كتاب "وندیداد "، بأن زرادشت سال أهورا مزدا قائلًا:

" أيها الرب، أي مكان في هذا العالم يكون أفضل الأماكن، فيقول أهورا مزدا : المكان الذي يبني المرء المتدين فيه كوخًا يجمع فيه النار، المراة، الأولاد، الأتباع والأصدقاء الصالحين". (٢٣٣)

---

(٢٣١) جمشيد يوسفي : المرجع السابق ، صـ١٩٣

(٢٣٢) فراس حواس : موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، " الزرادشتية،المانوية ، الهودية ، المسيحية ، ص ص ١٥،١٦

(٢٣٣) جمشيد يوسفي : المرجع السابق، صـ١٩٢

❖ **تصور الإله لدى الزرادشتية:**

أكدت التعاليم الشفهية للديانة الزرادشتية أن النظام والقانون الذي نشاهده في السماء وعلى الأرض، أكبر دليل على الوجود اللامتناهي للإله القادر على كل شيء، وهذا ما يجعلنا نعتقد ونؤمن بالكينونة التي لا تحد للرب القدير، فلقد أحب الزرادشتيون العالم، واعتقدوا بأن الحياة تعلمنا "أن الإله هو الموجود الأعظم والأفضل والأسمى من حيث الفضيلة والاستقامة والخيرية".[٢٣٤] لذا عدوا تقديس الإله من اولى واجبات المواطن الزرادشتي، بل لقد كان الزرادشتي يقول متفاخرًا :

"سأطرب بتمجيدي اهورامزدا، الذي يتم التغني به في أناشيد ومدائحنا ".[٢٣٥]

لقد كان الأصل في الدين الباطل هو أن الشر يأتي من الخالق. ولكن الإله الحق لا يمكن أن يكون مسؤولا عن الشر، فالشر جوهر مثله مثل الخير، وكلاهما يعود إلى العلة الأولى وهى الإله، والشيطان "أهريمان" الموجودة بصفة مستمرة، والمسؤول عن الشر بكليته في هذه الدنيا، بما في ذلك المرض والموت والغضب والجشع، وبما أن الاثنين جوهران متعارضان أساسا، فإنهما حتما باقيان في صراع، ولكل منهما في هذا الصراع قواه الخاصة به، أما صفات الإله التي يطرحها زرادشت مثل الكمال والخلود والاستقامة...إلخ، فإنها تتحول عنده إلى شخصيات فردية جليلة هم الخالدون

---

(٢٣٤) فراس حواس : موسوعة تاريخ الأديان ، الكتاب الخامس ، " الزرادشتية ، المانوية ، الهودية المسيحية، صـ١٤

(٢٣٥) اسامه عدنان : الديانة الزرادشتية ملاحظات واراء ، اشور بانيبال، ط١، دمشق،٢٠١٦م، صـ١٥

أو الوهابون الستة، وهؤلاء يجلسون أمام عرش الإله ولهم مكانتهم الخاصة في الشعائر الزرادشتية، فهم يحرسون العناصر التى يتألف منها العالم (النار والتراب والماء ، إلخ ..)، ومع ذلك فهم ليسوا الكائنات السماوية الوحيدة بأي حال هناك أيضا اليازاتا أو الموجودات المعبودة ومكانة هاتين الفئتين تراتبيًا، في الغالب، هي كمكانة رؤساء الملائكة والملائكة في الديانة المسيحية، وعدد" اليازات" من الناحية النظرية عدد هائل، ولكن من الطبيعي أن تكون بعضها شخصيات مهيمنة، وقد كانت في العادة ما تمثل الشخصيات الآرية القديمة، وعلى الرغم من المثيولوجيا الموجودة، فإن الصفة المجردة لهذه القوى السماوية تبقى قائمة، فهي لا تزال تمثل العقل والخير والصدق والسلام .. إلخ .[٢٣٦]

لقد جاءت فكرة الإله في الديانة الزرادشتية بصورة محبوكة ومقنعة، فهو الذي لا يعزى إليه شكل ولا لون، ولا مظهر، أحد صمد، كامل كمالًا مطلقًا، لا تحيط به العقول، وهو الأكمل عدلا، والأكمل رحمة، والأكمل مغفرة، واحد أحد، لا يحده مكان، أنه النور الأعظم الذي لا توصف طبيعته.[٢٣٧]

تحيط بأهورا مزدا مجموعة من الكائنات الإلهية، تقف في حضرته، تنفذ أوامره، وهو يحكم الدنيا بواسطة هؤلاء وكل واحد منهم موكل بحماية عنصر من عناصر الطبيعة، والطبقة الأولى من هذه الكائنات الإلهية تدعي أي "الخالدون المقدسون"، وعددها ست ملائكة ورغم أن لها تجسيدات إلا

([٢٣٦]) فراس حواس : موسوعة تاريخ الأديان ، الكتاب الخامس ، " الزرادشتية ، المانوية ، الهودية المسيحية ، صـ١٤

([٢٣٧]) جمشيد يوسفي : المرجع السابق ، صـ٥٨

أنها تعتبر كمظاهر للصفات الأهورامزدية كالاستقامة والخلود...وغيرها، إلا أنها ليست آلهة مستقلة توازي الإله الرئيس" أهورا مزدا"، أو تعتبر كآلهة من درجة أدني، إنها تجليات للقدرات الإلهية وأسماؤه المتعددة، حيث يمكن اعتبارها مثل حديقة فيها ستة طرق تنتهي كلها إلى نقطة واحدة، ورغم أن هذه الطرق تبدو متعددة، إلا أنها في الحقيقة واحدة، تصدر من النبع الأزلي إلى الشارب الأبدي، فهم كائنات تفكر بشكل متماثل، وتتحدث بشكل متماثل، وتتصرف بشكل متماثل، إنهم أشخاص نواياهم واحدة، وأعمالهم واحدة، كلامهم واحد، وقائدهم واحد وهو الخالق" أهورا مزدا".[٢٣٨] وهم يقومون بتنفيذ أوامر"أهورامزدا" في التصدي للمسيئين ومساندة المؤمنين السالكين لطريق الإله.[٢٣٩]

([٢٣٨]) نفس المرجع: ص ١٣٨ - ١٣٩

([٢٣٩]) عبد الله مبلغي : تاريخ الديانة الزرادشتية ، صـ٤٣

الفصل السابع

الفلسفة الخلقية في الديانة الزرادشتية

الفلسفة الأخلاقية في الديانة الزرادشتية

❖ **الإنسان في ميدان القتال:**

لقد صورة الزرادشتية العالم في صورة ميدان يتصارع فيه الخير والشر، لذا فقد حثت الإنسان على أن يقاتل في سبيل الإله الحكيم " أهورا مزدا"، ذلك باتباع **ست خصال حميدة هي:**

- **طهارة الفكر والكلمة والعمل.**
- **النظافة والبعد عن كل ما هو دنس .**
- **الإحسان بالفعل والقلب.**
- **الرفق بالحيوانات النافعة .**
- **القيام بالأعمال النافعة.**
- **مساعدة الذين لا يتيسر لهم تحصيل التعليم بتعليمهم.**

وأكدت الزرادشتية على أن الذين يتبعون هذه التعاليم يوصفون بأنهم يسلكون سبيل الإله الواحد **الحكيم.**[٢٤٠] وحينما يلتزم الشخص القرارات الدينية، لا يسرق، ولا يقتل، ولا يكلم الناس بالقوة والإجبار، ولا يضر بالآخرين، ولا يقدس أهريمان، وهو بعيدًا عن الكذب والأعمال السيئة،

([٢٤٠]) جمشيد يوسفي : الزرادشتية " الديانة الطقوس والتحولات اللاحقة بناء على نصوص الافستا "، صـ ٦٢ .

ويكون فكره حسن، وقوله حسن، وعمله حسن ويبتعد عن الأفكار السيئة والأقوال السيئة والأعمال السيئة، ويعلم الناس الأصول الديانة الزرادشتية يكون من أتباع أهورا مزدا.[٢٤١]

هكذا يقوم مبدأ زرادشت الأخلاقي الأول على أن روح كل إنسان هي مركز الجهاد بين الخير والشر، وهذا الجهاد هو ما يحدد مصير الإنسان، فعندما خلق أهورامزدا الإنسان منحه الحرية ليقرر أفعاله، ومن ذلك القدرة على الاختيار بين الحق والباطل، إلا أن أهورامزدا لم يجعل الإنسان محصنًا تجاه إغواءات الشيطان، بل جعل كل مسؤلًا قراره، يختار إما الخير أو الشر، والرجل الصالح دائمًا ما يختار طريق الحق.[٢٤٢]

❖ النار المخلدة:

لم تكن فارس الزرادشتية تسمح بإقامة الهياكل والأصنام، بل كانوا ينشئون المذابح المقدسة على قمم الجبال وفي القصور أو في قلب المدن، وكانوا يوقدون النار تكريمًا لأهورا مزدا، وقيل أن النار عندهم كانت رمزًا للعدالة والصراع ضد قوى الشر.[٢٤٣]

لذا فقد كانت شعيرة إذكاء النار المقدسة في معبد النار، تحدث خمس مرات يوميًا، يقوم فيها الكاهن فيها بتلاوت الصلاوات ثم يضع بعض البخور الحر، وست قطع خشب الصندل في النار، ويجعلها على شكل تاج،

([٢٤١]) نفس المرجع: صـ٧٦

([٢٤٢]) فراس حواس : موسوعة تاريخ الأديان ، الكتاب الخامس ، " الزرادشتية ، المانوية ، الهودية ، المسيحية ، ص ص ٣٩ : ٣٥

([٢٤٣]) محمد ضاهر : الزرادشتية واليزيدية تقابل أم تدابر ، صـ٥١

ثم يطوف حول المجمرة وبيده ملعقة من معدن، ويتوقف على ثمانية أوضاع مختلفة أمام أطرافها الأربعة، وزواياها الأربع ، يتلو بعض الشذرات منها :

"أيها الرب ! إنا نحمدك بنارك، نحمدك بالتقرب إليك بأفكار صائبة إنا نحمدك بنارك، بالأعمال الصالحة، ونفعل ذلك كله لتنوير أفكارنا ، وأقوالنا وأفعالنا "

كما أن الزرادشتي حينما يجد نفسه في حضرة النار المقدسة، فإن الكاهن الممارس يرفع أمامه ملعقة مملوءة بالرماد المستخرج من النار الملتهبة، فيمسح المؤمن بهذا الرماد جبهته، ويقول لنفسه :

" الرماد يعود رمادًا، والنار على توقدها ، وإشعاعها ، قد نشرت طيب رائحة خشب الصندل والبخور حولها ، ولكنها ستعود نفسها رمادًا ، كذلك مصيري، فلأكن مثل هذه النار، أبذل جهدي لكي أنشر قبل موتي، رائحة العمل الصالح، والنور، والاستقامة، والمعرفة". (٢٤٤)

«معبد للزرادشتية بالقرب من مدينة «يزد»

(٢٤٤) جمشيد يوسفي : المرجع السابق، صـ١٧٠

هكذا كان للنار عند الزرادشتين أهمية كبيرة يتعهدها الناس من مختلف الطبقات في بيوتهم، وهم منصرفون إلى شؤونهم، ويحافظون عليها مشتعلة، ويقدسونها ويقدمون لها القرابين.[٢٤٥]

«معبد النار بالقرب من بلدة في تبار أكبر آباد 10كم، أما الآن؛ فلم يتبقَّ منها إلا بعض الأنقاض»

(٢٤٥) د.خليل عبد الرحمن: أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، صـ٣٧

❖ **الجحيم والجنة:**

لم تكن الديانة الزرادشتية –مثلها في ذلك مثل غيرها من الديانات– تنظر إلى الموت في غير رهبة، فلقد أكدت على أنه عندما يموت الإنسان توجه روحه إلى من يمسك بكتاب حياته فإذا كان عمله وفكره وقوله خيرا وكانت أكبر من الفكر والعمل والقول الشرير، فإن روحه سوف تذهب إلى الجنة في السماء، وإذا كان الأمر على العكس فإن روحه سوف تلقي في جهنم.[٢٤٦] ففي يوم الحساب توزن أعمال الناس، فمن رجحت حسناته على سيئاته، فذلك من ثقلت موازينه، وهو من السعداء، ومن رجحت سيئاته، و خفت موازينه، فهو من الأشقياء، ومن تساوت حسناته مع سيئاته، فذلك، ينزل منزلة وسطى بين السعداء والأشقياء إلى أن يحكم فيه الإله الأعظم، بعد ذلك يأمر أهورامزدا الجميع بالمرور فوق الصراط ،الذي يقع في وسط الدنيا، ويصل الأرض بالسماء يتميز هذا الجسر بانه رفيع مثل الشعرة، وحاد مثل السيف، والإمكانية الوحيدة التي تسمح بعبور هذا الجسر هي الأعمال الصالحة، ويتسع هذا الجسر أمام الأخيار كلما ساروا عليه إلي أن يصلوا ماوى أهل السعادة، حيث الجنة، أما الأشرار فيمرون فوقه، ويرونه في دقة الشعرة وحدة السيف، وهم معذبون بالسير عليه، ولذلك تزل اقدامهم فيهوون في نار جهنم، وهناك بين المنزلتين منزله ثالثة، تقع بين الجنة والنار، وهي مخصصة الذين تتساوى أعمالهم الصالحة والطالحة وفي هذا المكان لا

([٢٤٦]) جمشيد يوسفي : الزرادشتية " الديانة الطقوس والتحولات اللاحقة بناء على نصوص الافستا " ، صـ٦١

يجدون أي عذاب سوى رياح تهب عليهم، لا هي باردة ولا ساخنة ويظلون هكذا إلى أن يحكم فيهم الإله.[٢٤٧]

هكذا أعدت النار عند الزرادشتية وجهزت للذين لا يطبقون وينقذون وصايا وتعاليم زرادشت، وهم المذنبون الذين يصلون جسر الصراط ثم يقعون أسفل الجسر، وهي أول درجات النار، وهي تقع تحت هذا الجسر وأعد لأصحاب الكلمة الخبيثة والعمل الخبيث، فبعد أن يتلقوا فيها كل أنواع العذاب يرمون في الطبقة الرابعة " المرحلة الرابعة "، والتي تسمى بيت الشيطان والكذابين، فكما أن اللجنة مراتب ومنازل كذلك نجد أن للنار درجات ومراحل لتعذيب العصاة والمذنبين، كل حسب عمله واقترافه للسيئات.[٢٤٨]

إلا أن جهنم في الزرادشتية ليست حالة دائمة، ولا يعد من الجائز أيضًا أن إنسانًا ما يمكن أن يكون شريرًا إلى درجة لا يكون فيها قادرًا على التوبة والحنين إلى منزلة فاضلة، ففي جهنم تفهم النفس أخيرًا الحقيقة كما هي، وتدرك الشر الذي لا يعرف الرحمة لأهرمان، فصحيح أن آلام جهم ليست مطهرة، لكنها كافية لإيقاظ التوبة، ويكون هذا كافيًا ليمكّن النفس من أن تتخلص من قيودها، وسوف تعد النفوس في النهاية – عندما ينتهي الإصلاح النهائي ويقهر الكذب – لتجتاز نهرًا من المعدن المصهور، وسوف تتطهرها من جميع آثار الذنوب المتبقية وتنضم هذه النفوس، وهي مطهرة إلى نفوس الناجين، ويعيشون في وئام كامل إلى الأبد.[٢٤٩]

([٢٤٧]) د.خليل عبد الرحمن: المرجع السابق، صـ٨٤.

([٢٤٨]) محمد ضاهر : الزرادشتية واليزيدية تقابل ام تدابر ، صـ١٥٣

([٢٤٩]) جمشيد يوسفي : المرجع السابق، ص ص ٣٠٤ ، ٣٠٥

❖ **المجوس:**

لقد فرق الأستاذ حامد عبد القادر بين الزرادشتية والمجوسية، فذكر بأن المجوسية شيء والزرادشتية شيء آخر، فالزرادشتية دين زرادشت (الذي جاء بالتوحيد ونبذ الوثنية والشرك والدعوة إلى الله، أما المجوسية؛ فهم فريق من الناس كانوا يمارسون السحر، ويعبدون النار، ولقد ورد ذكرهم في المفهوم المسيحي؛ بأنهم كهنة رتبتهم بين الحاكم والشعب في فارس، وكانوا في خدمة دين زرادشت، وكانوا معروفين بلباسهم الخاص، وسكناهم المنفردة عن بقية الناس، ولقد صنفهم الإمام الشهرستاني–المجوس– من ضمن الذين لهم شبه كتاب، وقد تكون صحف إبراهيم وموسى شبه كتاب، فالمجوس هم عبدة النيران القائلون إن للعالم أصلين نور وظلمة، وقيل المجوس في الأصل النجوس لتدينهم باستعمال النجاسات.[٢٥٠]

ولقد عُرف عالم المجوس ورئيسهم عند العرب بـ (الموبذان، موبذ) وهو بمنزلة قاضي القضاة عند المسلمين، وفي البداية – كما ذكرنا من قبل – فقد كان يوقدون النار تكريمًا لأهورا مزدا، وقيل النار عندهم كانت رمزًا للعدالة والصراع ضد قوى الشر، ولكن؛ مع قرون توالت من التاريخ الميلادي انتشرت فيها المجوسية، وبدأت تظهر تماثيل في أغلب مدن الفرس الكبرى، ومُلئت الكتب بطلاسم شفاء المرضى والتنبؤ بالغيب والسحر، فإن الكهنة لم يلبثوا أن نسوا ذكر زرادشت، وجعلوه في عداد المجوس، فأصبحوا

---

(٢٥٠) محمد ضاهر : المرجع السابق ، صـ٥٢

سادة الإمبراطورية، وأصبح ملوك الفرس أنفسهم من تلاميذهم، فلا يقدمون على أمر ذي بال الأبعد استشارتهم فيه.[٢٥١]

«معبد للمجوس، يتوسطها شعلة النار المقدسة، وبجانبها صورة لأحد موابذة المجوس».

(٢٥١) نفس المرجع: صـ٥١